خمسة أسئلة عن الإسلام

في العصر الحديث والإجابة عليها

بقلم

أ. علي القاضي



الطبعة الأولى

رمضان ١٤٢٥هـ - أكتوبر ٢٠٠٤م

مقــدمة

يلاحظ أن الإسلام دائما قادر على أن يوسع آفاق دعوته ويحقق إقناع عدد كبير من الناس وبخاصة العلماء والمفكرين، غير أن هذه الظاهرة الجديرة بالتأمل والدرس إنما هي إسلام الممتازين والمثقفين من العلماء والمؤرخين وبخاصة من أرجاء العالم الغربي.

وهذه الظاهرة جديرة بأن تدرس من خلال كتابات عدد كبير من المسلمين ومنهم (الدكتور جرمانوس) الذي يقول: « القـرآن كتاب يتسم بالصراحـة والوضوح إن صدقت الرغبة في تفهمه، وإن محمدا رسول الله الأعظم مصلح ثوري عرفه التاريخ »، ثم قال: « وإني أجرؤ على القول بأن الإسلام أعطى المرأة حقوقا قانونية أكثر مما لها في ظل المسيحية »، وقال (ركسي إنجرام) المخرج السينمائي في الإجابة عن سؤال « لماذا أسلمت ؟ »: « ذلك لأنني أعتقد أن الإسلام هو الدين الذي يدخل السلام والسَكِيْنَة إلى النفس ويلهم الإنسان العزاء وراحة البال والسلوك السليم في هذه الحياة، وقد تسربت روح الإسلام إلى نفسي فشعرت بنعمة الإيمان بالقضاء الإلهي وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم »، وقال ليوبولد فاليس (محمد أسد) في كتابه « لماذا اعتنقت الإسلام ؟ »: « إن الإسلام هو نظام اجتماعي واضح الحدود، والإنسان في الإسلام غير مجبر على أن يرفض الدنيا وليس ثمة حاجة إلى تقشف يفتح به الإنسان بابا سرياً إلى التطهر الروحي، فالإسلام نهج في الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنَّها الله تعالى لخلقه ».

وقد عرض بعض المفكرين العرب خمسة أسئلة عن الإسلام هي:

١- هل يحافظ الإسلام – حتى يومنا هذا – على دعوته الشاملة ؟
٢- هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام نظام حكم ؟
٣- هل النظام الإسلامي للحكم مرحلة حتمية على الشعوب العربية أن تمر بها في معرض تطورها ؟
٤- هل تأخذ ظاهرة اليقظة الدينية التي برزت في السنوات الأخيرة منحى إيجابياً ؟
٥- من العدو الأول للإسلام حالياً ؟

وقد تولى الإجابة على هذه الأسئلة عدد من المفكرين من جميع الاتجاهات منهم أربعة من سوريا ولبنان وعشرة من وادي النيل وثمانية من المغرب العربي، فمن الشام عبد الرحمن منيف ويوسف الخال وإميل حبيبي وعبد الوهاب البياتي، ومن وادي النيل عبد الرحمن الشرقاوي وإدوارد الخراط وحسين أحمد أمين ونجيب محفوظ وأحمد بهاء الدين ويوسف إدريس وتوفيق الحكيم ولويس عوض وجمال الغيطاني والطيب الصالح، ومن المغرب العربي محمد أركون ومحمود المسعودي ورشيد بوجريدة وطاهر وطار ونبيل تادرس وخال ياسين وعبد الكبير الخطيب وعبد الوهاب المؤدب.

وقد سجلت إجاباتهم على هذه الأسئلة، ولكنها تدل على تأثر أكثرهم بالثقافة الغربية، وكانت إجاباتهم واضحة في هذا الميدان وهي محاولة إبعاد الإسلام عن حياة المسلمين في العصر الحاضر؛ لأن الإسلام ليس صالحا لكل زمان ومكان، وكانت مفاهيمهم مختلفة وإجاباتهم تدل على هذه المفاهيم.

ثم رأيت أن أضيف إلى هذه الآراء آراء مجموعة من المفكرين الغربيين الذين دخل بعضهم في الإسلام عن اقتناع كامل بعد أن درسوه دراسة وافية جعلتهم يكتشفون أن الإسلام هو الدين الوحيد القادر على إنقاذ المسلمين بل وإنقاذ هذا العالم الحائر كله مما هو فيه من إحساس بالضياع، وأصبحت مجتمعاتهم تحس بأنها ليس لها وظيفة في هذه الحياة مع أنهم يجدون كل ما يطلبونه من النواحي المادية، ولكن الخواء الروحي جعلهم يهربون من المجتمعات عن طريق المخدرات ومن الحياة عن طريق الانتحار الجماعي المقنن والمنظم، حتى أصبح في أمريكا ٣٤ جمعية عنوانها (فن الموت)، ويدفع كل من يريد الانتحار مائتي دولار، وفي حفل جماعي فيه رقص ومهدئات ومخدرات وسميات تؤدي إلى الانتحار، وهذه هي نتيجة الحضارة الغربية المترفة التي لا تهتم بالجانب الروحي ولا بالصلة بالله سبحانه وتعالى.

إلى جانب بعض آراء المفكرين الإسلاميين الذين درسوا الإسلام دراسة وافية.

والأستاذ (أنور الجندي) رحمه الله ألف كتابا عنوانه (الإسلام يتألق من جديد) وقال: «إن الفكر المادي يتراجع ولذلك فإنه لابد من تحرير الفكر الإسلامي من التبعية؛ ذلك لأن الإسلام هو الأغرودة الخالدة على مدى الدهر وإلى يوم النشور».

إن حاجة البشرية إلى الإسلام أصبحت تزداد يوما بعد يوم بسبب فشل كافة الأنظمة البشرية التي عجزت عن تحقيق الأمن والسلام والسَكِيْنَة للإنسان، وقد انتهت جولة الفكر الاستشراقي الغربي وسقطت قوائمه وقد اعترف بعض الغربيون بسقوط حضارتهم، ومن هؤلاء (شلنجر) الذي ألف كتابا عنوانه « انهيار الحضارة الغربية ».

ويلاحظ أن الإسلام قادر على أن يصحح للحضارات العالمية منطلقها وهو الدين الذي يستطيع أن يقدم للحضارات العالمية أسباب انحدارها وعوامل قوتها.

والإسلام يقدم نظاما كاملا للقيم يختلف اختلافا واسعا عميقا عن نظام القيم الغربية حيث يرمي النظام الإسلامي في الأساس إلى خدمة الإنسانية وإسعادها وإشاعة روح الحق والعدل فيها حيث يقوم نظام القيم على:

١ – هداية المسلم على الخير ورده عن الشر.

٢ – هدايته إلى الحلال وصرفه عن الحرام.

٣ – دعوته إلى الفضيلة وإنكار الرذيلة.

٤ – تحقيق العدل ورفع الظلم.

٥ – إقامة الرحمة والإخاء وتنحية الشح والخلاف.

ومصطلح التقدم في الإسلام يتضمن الجانب المادي والجانب المعنوي وتتكامل معه الذاتية والموضوعية والمادية والمعنوية، ويلاحظ أن عالم الغيب يمثل قاعدة المفهوم الإسلامي الجامع.

وأخيرا فإني أرجو أن تكون الرؤيا الصحيحة للجانب الروحي قد اتضحت للمسلمين وبذلك يمكنهم أن يثقوا في أنفسهم وفي دينهم وفي خالقهم، وأن يعودوا إلى تحقيق وظائفهم في هذه الحياة حتى يعمروا الأرض طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى، وبذلك يسيرون في الطريق المستقيم الذي يسعدهم في الدنيا وفي الآخرة، ويجعل غير المسلمين ينتبهون إلى حقيقة الإسلام فيؤمنون به ويسيرون على المنهج المستقيم الذي يسعدهم في الدنيا وفي الآخرة.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

إجابة المفكرين العرب

١- الأستاذ عبد الرحمن منيف: كانت إجابته على النحو الآتي:

١. لا يمكننا تصور مجتمع قائم على أسس دينية في زمنا الحاضر، فالدين بات مسألة شخصية لا تتعدى هذه التخوم، لذا يستحيل قيام مجتمع ما على دعائم دينية، كما يستحيل إضفاء صفة الشمولية الكونية على أحد الأديان.

٢. يمكن للدين المشاركة في إعادة بناء المجتمع بشرط أن يستند هذا التنظيم إلى ركائز علمانية على ضوء مقتضيات العصر.

٣. بالعكس فإننا نرى الشعوب الإسلامية تزداد قدرة على التطور ومواجهة تحديات الأزمان الثقافية بقدر ما تدنو من العلمانية.

٤. لا إجابة.

٥. أرى الإعداد بمنظار علماني وهو التسلط الاستعماري والصهيونية والتخلف والأنظمة الاستعمارية، فبين هذه القوى رابطة حميدة وتحالفات موضوعية.

٢- الأستاذ يوسف الخال: كانت إجابته على النحو الآتي:

١. هناك أفكار وتيارات حديثة تشوه الإسلام، وقد تسهم في تغيير نظرة العالم إليه إلى الأسوأ.

٢. إذا طبقنا أحكاما ثابتة وغير قابلة للتطور ومستوحاة من الآيات الدينية فإنها تصطدم بعقبات جمة.

ثُرى هل الأحكام الشرعية إلهية أم من صنع البشر وبالتالي تمثل التطور؟.

ثُرى هل القرآن منزل حرفيا أم منزل معنى وروحا كما هو الحال في المسيحية؟.

٣. مع تقهقر فكرة القومية العربية اضمحلت الرؤية القومية وانهارت

الدعائم بسرعة وأصبحت متراخية البناء الذي يقوم على الأصولية وذلك ما يدعو إلى القلق.

٤. لا ولا تتمتع بأي وجه إيجابي.

٥. تتجاذب الإسلام حاليا تيارات عديدة، منها الصادق، ومنها المتهم للإسلام، ومنها الجاهل الذي لا يلم بمبادئ الإسلام، ومنها الخبيث الذي يدعي – عن غير وعي واقتناع – أن الخضوع للشريعة الإسلامية واجب على كل المجتمعات.

٣– الأستاذ إميل حبيبي: يجيب كالآتي:

١. لماذا لا نبحث أمر الديانة الأكثر شيوعا في العالم وهي البوذية والتساؤل عن يقظتها.

٢. لو كان في الشريعة الإسلامية أحكام كفيلة بإنشاء وإدارة دولة عصرية لتحقق الحلم.

٣. الدين شأن شخصي وعند تخطيه هذا الحد يصبح شعاراً، ونحن العرب في الأراضي المحتلة نرفض النضال باسم الدين.

٤. نعم، ويظهر ذلك في الثورة الجزائرية على الفرنسيين، وكان عاملا مهما في العراق مثلا، وهو من المؤثرات الفعالة في وجدان الشعوب ونضالهم إلا أنه لا يسد حاجات الأمة على الصعيد السياسي.

٥. صدام حسين يتهم الخميني والخميني يتهم صدام حسين، فماذا عسانا نقول؟

٤– الأستاذ عبد الوهاب البياتي يقول:

١. ليس للدين انتماء قومي أو جزافي، وبالنسبة لي فهو جزء من الثقافة العالمية وتراث قائم بذاته.

٢. من المستحيل فرض عقيدة واحدة على العالم بمجمله.

٣. ليست الشعوب العربية موضع اختيار ومجردة من الخصائص

والمميزات، وما الرؤية الدينية إلا رؤية إنسانية اتخذت طابعا دينيا .

٤ .ليست بالظاهرة الإيجابية بل إنها تنشأ عن الحاجة المُلّحَة للإصلاح والتجديد في بعض المجتمعات.

٥ .ذات الإنسان أحيانا تكون ألدّ أعدائه.

٥- الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي يقول :

١ .بكل تأكيد .

٢ .أجل، إذا ما احترم العلماء قيم الإنسانية والحق فيواجهون منطلقات العصر بجذب الأفكار .

٣ .أرفض تعبير نظام إسلامي أو دولة إسلامية، الدولة الإسلامية دولة تؤمن بروح الإسلام وتطبيق أحكام الشريعة.

٤ .بالطبع تأخذ منحى إيجابيا بشرط فهم سليم لروح الإسلام.

٥ .التصلب في الرأي ورفض التطور وتحول رجال الدين إلى طبقة حاكمة.

٦- الأستاذ إدوارد الخراط يقول :

١ .الإسلام يؤكد محافظته على دعوته العالمية.

٢ .لا أعتقد ذلك ولا يمكنها اعتماد أي دين كان.

٣ .الإسلام كأي دين يجب أن يبقى منفصلا عن الدولة في النظام والسياسة.

٤ .تأخذ منحى إيجابيا على نطاق ضيق جدا فهي ضرورية بقدر ما يميل الإنسان إلى جذوره.

٥ .التعصب.

٧- الأستاذ حسين أحمد أمين يقول :

١ .نعم.

٢ .لا طبعا إذا اكتفت الشريعة باقتباس أحكامها من القرآن والسنة فقط.

٣ .من المفترض أن تكون مرحلة حتمية.

٤ .لا والدول العربية زادت رجعية. ٥ .المسلمون الرجعيون.

٨- الأستاذ نجيب محفوظ يقول:

١ . أجل.   ٢ . نعم من الممكن.

٣ . الدين ضروري لتطور الدول العربية فهو قاسم مشترك كاللغة الواحدة.

٤ . أتنصل من الإسلام الداعي إلى التعصب والجهل، ولا أعارض أن يتبوأ قبطي سدة الرئاسة.

٥ . هي العقيدة الشيوعية بمقدار ما تتعارض مع المفاهيم الدينية.

٩- الأستاذ يوسف إدريس يقول:

١ . أجل بنوع ما.

٢ . لا يمكن تثبيت حكم إسلامي وفرضه على المجتمع الحديث، ولكن يمكن الاقتباس من التقنية والمؤسسات والأنظمة الغربية، وتغيير وجه البناء الذي انطلق في القرون الوسطى.

٣ . لا ويتحتم علينا المضي إلى الأمام.

٤ . أجل بمقدار ما تتحلى بأبعاد قومية كل الثروات المستخرجة ولم تستفد منها الشعوب.

٥ . البترول الذي أرجو ألا يقودنا إلى الخراب.

١٠- الأستاذ توفيق الحكيم يقول:

١ . الإسلام في حقيقته يعلو بالمسلمين.

٢ . يمكن، ولكن يتعين اعتماد تفسيرات جديدة تتفق والمفاهيم العصرية.

٣ . يؤكد ذلك علماء الدين.

٤ . لم تتخذ هذه اليقظة سوى أشكال سياسية ملفتة وحقيقة الإسلام بما فيه.

٥ . الحكام المسلمون لا يزالون في أميتهم وجهلهم.

١١- الأستاذ لويس عوض يقول:

١ . كلا، إذا تمكن الإسلام من التغلب على (بيزنطة) سابقا فلأنه كان دائما على بناء أكبر من الدين المسيحي في القرن السابع.

٢ . كلا لأن الذين يؤيدون النظام الإسلامي يقولون بأبعاده الروحية والجمالية، وهذا ما يفقد كل أمل لمن يؤمنون بقدرة الإسلام – أو قُلْ النظام الإسلامي – على منافسة الأنظمة الغربية .

٣ . ليس بالضرورة . ٤ . العكس واضح . ٥ . المسلمون أنفسهم .

١٢– الأستاذ جمال الغيطاني يقول :

١ . أجل .

٢ . أنا أدعو للدولة العلمانية التي تبدو أكثر ملاءمة لإدارة مجتمع عصري، بينما يعني الإسلام بعلاقات الفرد مع ربه ومع غيره .

٣ . يجب أن تكون الدولة علمانية وليست دينية .

٤ . تشكل في بعض أوجهها ظاهرة إيجابية، بمقدار ما تجابه موقعاً عدائيا أو انحطاطا اجتماعيا .

٥ . الاستعمار الغربي والقادة الانتهازيون الذين يرفعون لواء الإسلام للاستيلاء على السلطة .

١٣– الأستاذ أحمد بهاء الدين يقول :

١ . أجل . ٢ . هذا هو التحدي للعالم الغربي الحقيقي .

٣ . ليس حتميا . ٤ . كلا إنها رَدَّة فعل على التوسع الإسرائيلي .

٥ . التخلف لدى أكثر الشعوب الإسلامية وحكوماتها .

١٤– الأستاذ الطيب الصالح يقول :

١ . نعم . ٢ . لست أدري وتطبيقه في بعض الدول غير مرض .

٣ . إنه الغاية والهدف . ٤ . ليس تماما ولا أرى مثلا حاليا مرضيا .

٥ . المشكلة تكمُن في تفهم الغير له في ظروف تقارب الدول والشعوب حاليا .

١٥– الأستاذ محمد أركون يقول :

١ . يتعين تحديد مفهوم الكونية والشمولية وكيف سيتمكن الإسلام ؟

٢ . الانسجام مع هذه الثقافة الكونية الشاملة المستقبلية مسألة تستدعي

التأمل، فالإسلام ليس بنظام حكم لا تاريخيا ولا عقديا، وتجربة الدول الإسلامية انحصرت في المدينة في أيام النبي.

٣. يجب تحليل كل هذا خارج أفكار مرفوضة.

٤. كل عودة للتراث الثقافي تشكل مظهرا إيجابيا، ويمكن القول أن السبب هو عجز المجتمعات الإسلامية عن السيطرة على التحرك الأعمى داخليا أو خارجيا.

١٦- الأستاذ محمود المسعودي يقول:

١. نعم إذا فهم جيدا انطلاقا من جذوره.

٢. للإسلام مضمون واضح ولابد من إدخال التعديلات على أحكام الشرع التي أصبحت غير قابلة للتطبيق مع التطور البشري.

٣. لا أعتقد ذلك.

٤. فقط بقدر ما يعبر عن توق روحي للقيم التي تسعد بقيامها عن حضارة العصر.

٥. يجابه الإسلام تحديات أكثر من أعدائه.

١٧- الأستاذ رشيد بوجريدة يقول:

١. نعم.

٢. إطلاقا هذا مستحيل، وكيف يمكن للإسلام أن يكون نظام حكم عالماً بأنه لم يكن أبدا كذلك؟

٣. لا أبدا.

٤. التجربة الإيرانية دلّت على الفشل الكامل للنظام الإسلامي المطلق.

٥. إنهم المتعصبون، ويكفي معاملة الشيوعيين الحسنة للمسلمين في آسيا الوسطى السوفيتية.

١٨- الأستاذ طاهر وطار يقول:

١. كلا. ٢. كدين، بكل تأكيد كلا.

٣. بالطبع لا. ٤. إنها تشكل عاملا معوقاً للتطور الاجتماعي.

٥ . الإمبريالية الأمريكية منها وبخاصة الشركات متعددة الجنسيات .

١٩- الأستاذ نبيل فارس يقول :

١ . أجل. ٢ . عملياً الآن هو نظام حكم سياسي ديني في آن واحد .

٣ . نعم بالتأكيد .

٤ . هذا مرهون بكيفية تفسير النصوص القرآنية ، والإسلام إيجابي بقدر ما يوجد أوساطا وأمكنة مواتية للتبادل الاجتماعي ، مع التسليم بالفوارق وضمان استمراريتها .

٥ . إنه التفسير الخاطئ للإسلام .

٢٠- الأستاذ خال ياسين يقول :

١ . نعم . ٢ . لا أعتقد أبداً . ٣ . لا قطعاً .

٤ . الظاهرة تعني عودة الدين بصورة عامة - وهذا يتزايد - وذلك يعبر عن الأزمة التي يعاني منها الماركسية .

٥ . هو الإسلام نفسه باعتقادي .

٢١- الأستاذ عبد الكبير الخطيب يقول :

١ . نعم بمقدار ما تصبح الشعوب أرضا خصبة للعطاء .

٢ . لا لم يعد ذلك ممكنا .

٣ . العودة لدولة شرعية دينية أصبحت مستحيلة .

٤ . تأخذ منحى إيجابيا لإيمانها بقدسيات بعض المجتمعات .

٥ . هو نفسه بقدر ما يستغل بعض علماء الدين السياسيين روحه وسموه .

٢٢- الأستاذ عبد الوهاب المؤدب يقول :

١ . نعم كثقافة . ٢ . كلا .

٣ . أخشى أن يكون الجواب نعم وأتمنى أن يكون لا .

٤ . كلا. ٥ . الجهل .

السؤال الأول

هل يحافظ الإسلام حتى يومنا هذا على دعوته الشاملة ؟

وقد أجاب على هذا السؤال (أنوتية بونيه) المستشرق الفرنسي الذي ولد في باريس عام ١٨٦١م وتوفي في عام ١٩٢٩م وقد أعلن إسلامه رسميا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع كبير عام ١٩٢٧م.

وقال : « إن الغرب يخطئ في النظر إلى الشرق، مع أن للشرق على الغرب أفضالا هائلة متغلغلة في حياته من أثر المديونيات التي هو مدين بها للشرق، ومن أثر الحياة الشريفة والهمة القعساء التي تنشرها أنظمة الفروسية العربية، ومن أثر عالم البحار وعالم السماء وعالم الكيمياء التي أبدعت أصولها العقول العربية ».

وقال : « إن الذين يعتنقون الإسلام في وقتنا هذا من المسيحيين وغيرهم إنما هم من الخاصة سواء أكانوا من الهيئات الاجتماعية الأوربية أوالأمريكية، كما أن إخلاصهم في ذلك لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية، ومنهم (اللورد هدلي) الإنجليزي و (كرستيان رسفيس) أحد تلاميذ (أرنست كونت)، وسبب إسلامهم أنهم كانوا يتلمسون عقيدة سهلة مقبولة في جوهرها لأننا - معاشر الإنجليز - ننجح لأننا أكثر أهل الأرض تشبثا بالعمل ».

وعقيدة الإسلام تكون دائما ملائمة لأحوال جميع الشعوب وعاداتهم وأعمالهم، وهي عقيدة دينية صحيحة يقف فيها المخلوق أمام الخالق بدون أن يكون بينهما وسيط.

و (سلديال) قال : « إن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير،

فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير، فالإسلام يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم فهو ببساطته المتناهية يهدي علماء أوربا وآسيا إلى الطريق المستقيم ويجدون فيه تعزية وسلوى غير أنه يحول بينهم وبين حريتهم التامة في آرائهم وأفكارهم – كما أنه تعزية وسلوى وهدى لزنوج السودان الذين ينتزعهم من أوهامهم الوثنية.

جاء الإسلام فوضع حداً للتفاخر بالألقاب والإنسان والجنس، وجعل من المؤمنين إخوانا حقا، ونفخ فيهم روحا جديدة تقوي مشاعرهم، فما أروع أعمال البطولة التي استطاع هؤلاء الغزاة ذوي النفوس الحاسبة والقلوب المنبثقة أن يقوموا بها بعد ذلك».

و (ازوالد ربرت) الإنجليزي كتب يقول: «إنني تبينت أني أومن بدين الإسلام دون أي شعور مني بذلك»، ويقول: «إذا كان الإسلام هو هذا فنحن جميعا مسلمون».

وليوبولد نابس (محمد أسد) قال في كتابه (على مفترق الطرق): «الإسلام يعلمنا أولا أن عبادة الله الدائمة والمتمثلة في إعمار الحياة الإنسانية المتعددة جميعها هي معنى الحياة نفسها، ويعلمنا ثانيا أن بلوغ هذا المقصد يظل مستحيلا ما دمنا نقسم حياتنا قسمين: حياتنا الروحية وحياتنا المادية، ويجب أن نفرق بين هاتين الحياتين في حياتنا وأعمالنا لنكون كلا واحدا متناسقا، إن فكرتنا عن وحدانية الله تعالى يجب أن تتجلى في سعيها للتوفيق والتوحيد بين المظاهر المختلفة في حياتنا وعبادة الله في أوسع معانيها تؤلف معنى الحياة الإنسانية».

و (أتينيه دينيه) المستشرق الفرنسي يقول في كتابه (أشعة خاصة بنور الإسلام): «الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلا بشريا وما إلى ذلك من الأشكال، أما في المسيحية فإن لفظ الله تحوطه تلك الصور الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه دلائل الكبر والشيخوخة في تجاعيد بالوجه غائرة إلى لحية بيضاء مرسلة ومهملة تثير في

النفس ذكرى الموت والفناء، **أما الله في دين الإسلام** الذي تحدث عنه القرآن فلم يجرؤ مصور أو نحات أن يرسمه أو ينحت له نحتا ما، ذلك لأن الله تعالى لم يخلق الخلق على صورته فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد».

التسامح والرفق في الدين: يقول (أتينيه): «إن القرآن – دون الكتب المقدسة الأخرى – هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والإحسان في الدين، وقد جاء إلى رسول الله ﷺ أحد بني سالم بن عوف واسمه الحسين، وقال له: يا رسول الله إن لي ولدين مسيحيين ويأبيان الدخول في الإسلام وإني لمجبرهما على ذلك، فقال له رسول الله ﷺ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وفي هذا الباب ما جاء في سورة الكافرون: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وكذلك ما جاء في سورة العنكبوت ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ومن الحقائق التاريخية أن رسول الله ﷺ أعطى أهل نجران المسيحيين نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية.

زِدّ على ذلك: أن المسلمين يحملون لعيسى في نفوسهم التبجيل والتعظيم، في حين أن أنصار المسيح يمطرون محمداً وابلاً من اللعنات والسخطات، الأمر الذي يدعونا إلى الدهشة والغرابة، ذلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقائل بالعفو والإحسان».

العلم: «وقد رفع رسول الله ﷺ نور العلم إلى أعلى الدرجات وأعلى المراتب وجعله أول واجبات الإسلام، وفي ذلك يقول اطلبوا العلم ولو في الصين، ويقول اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، ويوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء، وجعل فضل العلم خير من فضل العبادة».

الخمر: «ذلك الداء الفتاك وهو أحد الأمراض الاجتماعية المهلكة في عصرنا الحاضر يدل على أن محمدا هو الشخص الوحيد الذي أحس الأثر السيئ الشديد للخمر في الأجساد وفي النفوس، فحاربه بل وحرمه تحريما تاما، وقد فاز

في ذلك فوزا كبيرا ».

الوسيلة: « هي إحدى كبريات المسائل التي فاق بها الإسلام جميع الأديان، إذ ليس بين الله وبين عباده وسيط، وليس في الإسلام قساوسة ولا رهبان، ذلك لأن هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الأديان، وإنهم لكذلك مهما كانت عقيدتهم ومهما كان إخلاصهم وحسن نياتهم.

والتاريخ يحدثنا عن أكبر البلايا والمصائب بل وأكثر المذابح والمجازر التي كان سببها هؤلاء الوسطاء، سواء أكانت بين بعض العائلات وبعضها الآخر، أو بين الشعوب والشعوب الأخرى، وهم في ذلك يصيحون باسم الله مجد الله، وقد حرم الإسلام نظام هذه القداسة ومحا الولاية، فنفى بذلك تلك الخرافات الضارة والمعتقدات الفاسدة وأزال آثارها ونتائجها ».

عُلُو الهِمَّة: « قال رسول الله ﷺ : علو الهمة من الإيمان، ذلك لأن الشريعة الإسلامية قد ساوت بين الناس وليس لأحد فضل على أحد إلا بعلو الهمة ومكارم الأخلاق وبالتقوى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ».

المساواة: « لقد حقق الإسلام نظرية المساواة الكاملة بين القبائل والشعوب، وهذا بلال الحبشي أقامه الرسول ﷺ مؤذنا للمسلمين في المدينة وفي مكة مكان العرب، مع أن العرب من الشعوب التي تفخر بالأجداد والأنساب فاستمع إليه المسلمون وقاموا إلى الصلاة ».

مسايرة الطبيعة: « الإسلام لا يتمرد على الطبيعة وإنما هو يساير قوانينها ويزامل أزمانها، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة للطبيعة ومضاداتها في كثير من شؤون الحياة، مثل ذلك الفرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة، فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون عُزَّاباً ».

لغة القرآن: « لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع معظم المجامع العلمية أن تقوم بها، ذلك أنه مكن للغة العربية في الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب رسول الله ﷺ اليوم إلينا لكان ميسورا له أن يتفاهم كل التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية، إلى جانب بساطة الصلاة والنظافة وحركات الصلاة التي تفيد

الجسم والعقل والروح، والوضوء الذي فيه انتعاش للبدن وصحته ونظافته، والآذان الذي يدعو المسلمين إلى تأدية هذه الفريضة ».

وعقيدة الإسلام لا تقف عقبة في سبيل التفكير فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير، والإسلام صالح لجميع العلوم والأجناس ولكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي ليس فيه حر ولا عبد، والذين يعتنقون الإسلام في عصرا الحاضر من المسيحيين وغيرهم هم من الخاصة سواء أكانوا من الهيئات الاجتماعية الأوربية أو الأمريكية، كما أن إخلاصهم لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن الإغراءات المادية.

<u>محاسن الإسلام</u>: تقول الدكتورة (لورا فاغليري) الكاتبة الإيطالية في كتابها (محاسن الإسلام): « إن من أكبر معجزات هذا الدين الجديد أنه يؤلف بين قلوب أقوام كالعرب الذين عاشوا أجيالا عديدة في مخاصمات شديدة وحروب أهلية مستمرة فعرفوا بفضله الاتحاد والإخاء والمساواة ».

<u>الإسلام في عصر العلم</u>: قال الأستاذ (مفكس) في كتابه (الإسلام في عصر العلم): « ظهر النبي محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية القول البشرية بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد وبحياة بعد هذه الحياة الدنيا التي نعيشها ».

وقال (غاندي) زعيم الهندوس بالهند: « ليدرس الهندوس الإسلام كما درسته فسيحترمونه كما احترمته ولقد أصبحت معتقدا بأن الإسلام لم يأخذ مكانته في الوجود بحد السيف بل أخذها بالبساطة وإنكار الذات والشجاعة التي اتصف بها النبي محمد ».

وقال (فارس الخوري بك) أحد وزراء سوريا المسيحيين في خطبة له في أحد الحفلات العظيمة التي أقيمت في دمشق في عام ١٩٢٥م لإحياء ذكرى مولد محمد: « إن أعظم عظماء العالم هو محمد، ولم يجد الدهر بمثله وهو الدين الذي أتم الأديان وأكملها، إن محمدا الذي تكرمونه في ذكرى ميلاه هو أعظم عظماء

الأرض كافة، فقد استطاع توحيد العرب بعد شقائهم، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ، وجاء لهم بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تفاعلهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها».

وقال (اسكندر اشبيل وب) من الولايات المتحدة وهو صحفي ومؤلف: «إنني اتخذت هذا الدين سبيلا لحياتي لأنني بعد دراسات طويلة وجدته خير الأديان، وهو الدين الوحيد بينها الذي يلبي الاحتياجات الروحية للجنس البشري كله، إن الإسلام دعوة إلى الأخوة العالمية وإلى المحبة بين الناس جميعا وإلى الخير لهم جميعا ويتطلب طهارة العقول وطهارة العمل وطهارة الحديث وطهارة البدن، وهو أبسط الأديان كلها وأقدرها على السمو بالبشرية».

دفاع عن الإسلام: تقول (لورا فاغليري) في كتابها (دفاع عن الإسلام): «كان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية التقدم، وحتى يحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد».

وفي الحرب كان الرسول ﷺ من دأبه أن يوصي جنوده بقوله: «لا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة».

وبفضل الإسلام هُزمت الوثنية في مختلف أشكالها، وقد حرم مفهوم الكون وشعائر الدين وأعرف الحياة الاجتماعية من جميع المسوخ التي كانت تحط من قدرها وحررت العقول الإنسانية من الهوى.

وقد أدرك الإنسان في آخر الأمر مكانته الرفيعة، ولقد أذل نفسه أمام الخالق رب العالمين، وقد طلب منه أن يقول مع رسول الله ﷺ: «إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين».

لقد حررت الروح من الهوى وأطلقت إرادة الإنسان من القيود، وبينما قاسى الناس في ما مضى مظالم القرون الاجتماعية أعلن الإسلام المساواة أمام البشر وجعل التقاضي بين الناس على أساس العمل الصالح والقرآن يقول:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]، والله سبحانه وتعالى يريد بعباده الخير، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها.

إن الإسلام يشدد على أهمية العمل الصالح ويعلن أن الإخاء والرحمة هما حجرا الزاوية في المجتمع الإسلامي، وفي استطاعة كل إنسان أن يقدر بنفسه أي شعور عميق بالإنسانية يوجه الأبناء إلى عبادة الله وإلى بر الوالدين ويقول في سورة الإسراء: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣]، وكل إنسان سوف يجد يوم القيامة ما عمل من خير وشر وسيحاسب عليه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

والإسلام ينظر إلى النية التي يعمل بها الإنسان، يقول رسول الله ﷺ: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ... »، والحب لكل أفراد المجتمع شيء أساسي والرسول يقول: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ».

وتوجد عقيدة أخرى أكسبت الإسلام صفة مميزة وهي أن الله تعالى لا يقصر رحمته على الإنسان وحده ولكنه ينظر إلى الحيوانات أيضا في حب وحنان، نعم إن الإسلام في أكمل المعاني دين ودولة فبالإضافة إلى أنه حمل رسالة الله إلى الإنسان فإنه قد قرر حقوقا وواجبات أيضا وأدرك أن السلطة لا بد لها من رعاية تلك الحقوق والواجبات والخليفة في الإسلام ليس معصوما من الخطأ وهو مطاع ما دام ملتزما بالحدود التي رسمتها له الشريعة أما إذا تخطى تلك الحدود فعندئذ يكون لرعاياه الحق في إعادته إلى الطريق القويم وفي الحديث الشريف: « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ».

أعظم الخالدين: (مايكل هارت) عالم فلكي رياضي يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية ألّف كتابا عنوانه (الخالدون مائة)، وقد كان أول الخالدين الذين اختارهم على مستوى الأزمان والأمكنة هو محمد ﷺ وقال عن سبب اختياره له: « لقد استطاع الرسول لأول مرة في التاريخ أن يوحد بين القبائل والشعوب وأن

يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعا بالدعوة إلى الله الواحد، ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية، فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالي شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين، وإلى الشمال الغربي واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الشرقية.

إن الرسول هو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية، كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده، وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم.

وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ الأثر والعمق، وعلى المستوى الديني كان أثر محمد قويا في تاريخ البشرية، وكان رجلا دنيويا فكان زوجا وأبا، وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم، وكان يحارب ويصاب في الحروب ويمرض ثم مات، ولما كان الرسول قوة جبارة فيمكن أن يقال أيضا إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ.

والدول التي فتحها المسلمون لم يوحد بينها الإسلام فقط، ولكن وحدت بينها اللغة والتاريخ والحضارة، ومن المؤكد أن إيمان العرب بالقرآن هذا الإيمان العميق هو الذي حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة، وهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أومن بأن محمدا هو أعظم الشخصيات أثرا في تاريخ البشرية كلها ».

السؤال الثاني

هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام نظام حكم؟

يقول (باول سمز) في كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية): « بينما تزداد صور البلاد الغربية تمزقا يقترب الشرق الإسلامي من الوحدة التي نادى بها الإسلام فيتفادى السقوط في هوة الصراع السياسي التي سقطت فيها أوربا اليوم، وسيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق الإسلامي عودا على بدء المنطقة التي قامت فيها القوة الإسلامية العالمية في الصدر الأول للإسلام وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخدامها والعمل على الاستفادة منها، وستنقلب موازين القوى لأن قوة الإسلام قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من منارات القوى العالمية ».

إن الروح الإسلامية ما زالت تسيطر على تفكير القادة وعواطفهم وستظل كذلك ما دامت هناك شعوب إسلامية ربطت مصيرها بتعاليم الإسلام، إن روح التعاطف والتواد بين المسلمين هو السبب الأساسي في تجميع القوى الوطنية على طريق القوى الإسلامية.

ويقول ليوبولد فايس (محمد أسد) في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق): « في الإسلام تحررت الروح من التعصب وتحررت إرادة الإنسان من الروابط التي طالما ربطتها بإرادة الآخرين وما كان يسمى بالقوى الخفية وسقطت عروش القسس الزائفين وسماسرة الخلاص ».

وقد أعلن الإسلام المساواة بين البشر، ولم يصبح لمسلم امتيازاً على مسلم بسبب أصله أو ماله أو أي عامل آخر، وإنما أصبحت الميزة في خشية الله تعالى والعمل الصالح والقيم الخلقية والذهبية، يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات ١٣].

إن الله سبحانه وتعالى أنهى بالإسلام التفاخر الذي كان أساس التحدث عن الآباء، فالناس وجدوا من آدم وآدم خلق من تراب فأفضل الناس عند الله أخشاهم له ولم يعط الإسلام أي مسلم حق الحكم على عقيدة له يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات ١١].

وإلى جانب الإيمان بالله تعالى وبنبيه محمد نجد أن القواعد الأخرى التي يؤمن بها المسلمون منذ ظهور الإسلام إلى اليوم لا تستخلف من العلم الحديث أو تصطدم مع الحقائق الفلسفية، ويؤكد الإسلام على قيمة العمل الصالح الناتج عن شفقة الإنسان على جيرانه وحماية اليتيم والفقير ويعلن: « إن الأخوة والزكاة هما حجرا الزاوية في المجتمع الإسلامي ».

إننا ندين بأعمق الإعجاب بالإسلام الذي يقدم فلسفة للحياة ترسي المبادئ الأساسية للأخلاق على أسس سليمة فعالة تشرع واجب الفرد نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو الناس جميعا، وهي قادرة على التطور ومجاراة أرفع التطورات العقلية مما يقطع بمصدرها الإلهي.

وإذا كان الإسلام قد نجح في خلق أمة موحدة قوية قائمة على أسس أخلاقية متينة في بلاد العرب حيث كانت الفوضى سائدة، ووجدت حكومة

تكون بمثابة تنظيم اجتماعي مستقل مجهولة تماما، وحيث كانت القسوة هي القانون فإن الإسلام يمكن أن تعتمد عليه أية دولة تريد أن يكون الإسلام هو كل حياتها.

وعبادة الله ليست محصورة في الشعائر الدينية فكل المظاهر الخاصة والعامة خاضعة لأحكامها، وفيها ارتباط بين تصرفات الفرد وواجباته الدينية، ويقول (بول سنتر) سنة ١٩٣٦م في كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية): « ليس هناك لبس في إمكانيات البلاد الإسلامية من الثروة الأرضية والمعدنية وتكاملها وخصوبة المسلمين في الطاقة الجنسية ويُسْر الارتباط بينهم على الإيمان بالله تعالى، وأنذر أوربا بالفناء إن هي مكَّنَت المسلمين من التجمع واستخدام هذه القوى ».

ويقول (محمد أسد) في مقدمة كتابه (الإسلام على مفترق الطرق): « إن الإسلام يعد الدين الذي استطاع أن يجمع العرب منذ أربعة عشر قرنا ويجعل منهم قوة عظيمة في العلم والسياسة والاجتماع يستطيع أن يقدم للمسلمين اليوم ما قدمه لهم بالأمس دستورا للحياة لا نجد مثله في النظم الاجتماعية والدينية والخلقية من تلك النظم التي تعرضت من فجر التاريخ حتى اليوم لتهديد البشر ».

إن الإسلام ليس دينا لأمة خاصة ولا لبلد ما بعينه ولا دينا يناسب زمنا واحدا إنه دين يتفق مع كل مكان وزمان ويصلح لكل قوم ولكل حال من أحوال المدنية، وإنه الدين الذي خلق عظمة العرب الماضية وعظمة غير العرب من الذين اعتنقوه في مراحل التاريخ لقادر على أن يعيد إلى المسلمين عظمتهم التي فقدوها من جراء تهاونهم الطويل، ثم إن الإسلام أقدر الأديان كلها على خلق القومية الصحيحة في الأمم، نعم لقد جاء الإسلام لخير البشرية كلها فلم يُحرم عليهم ما فيه خيرهم، ثم هو لم يجبرهم على الاغتراف من هذا الخير ولكنه بيَّن للناس ما فيه خير لهم ثم وهبهم عقلا يختارون به لأنفسهم فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها.

من أجل ذلك امتاز الإسلام بخاصيتين:

أولا: أن تأويل بعض فروعه يختلف باختلاف الزمان والمكان حتى توافق هذه الفروع كل زمان ومكان.

ثانيا: أنه دين يخالط الحياة كلها، فالسياسة والعلم والفلسفة والإحسان والتجارة والزواج والأسرة كلها تنضوي تحت لواء الإسلام كما تنطوي الجبال والأنهار والأشجار تحت ضوء الشمس، فإهمال الإسلام إذن ليس معناه إهمال للدين فحسب بل إهمال للحياة بأسرها.

إن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة وكل أجزائه قد صيغت ليتم بعضها بعضا ويشد بعضها بعضا، إن دراسات الأديان والمقارنات بينها أيقنت بأن الإسلام من جهتيه الروحية والاجتماعية لا زال - على الرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين - أعظم قوة نهاضّة للهمم عرفها البشر، وهكذا تجمعت الأسس كلها منذ ذلك الحين حول مسألة (بعثه من جديد).

والشيخ (محمد الغزالي) رحمه الله يرى أن الإسلام هو دين الله وأنه صالح لكل زمان ومكان، وأنه يمكن لأي دولة عصرية اعتماد الإسلام نظام حكم كامل سليم، وبذلك يمكنهم أن يكونوا قدوة لغيرهم فيسعدوا أنفسهم ويسعدا غيرهم، ولذلك ألّف كتاب (الطريق من هنا)، الذي يبين فيه الطريق السليم الذي ينبغي أن يسير عليه المسلمون حتى ينجحوا في حياتهم ويمكنهم أن يكونوا قدوة لغيرهم. ويقول: «إن العالم الإسلامي اليوم يعيش مرحلة التخلف الذي أطمع الأقوياء فيه، بل إنه لصق بالإسلام تهما كثيرة، إلى جانب إلى أن عقائد خرافية فكرت في إقصائه ووضع اليد على أتباعه، وقد نهض كثير من المسلمين لمعالجة هذا الانحدار وإزاحة العوائق التي تمنح التجاوب بين الأمة وبين دينها وإزالة الأسباب التي جعلت الأمة الإسلامية - التي كانت طليعة العالم كله ألف عام - تتراجع هائمة على وجهها، وقد طلب الشيخ الغزالي من بغاة الخير أن يختلطوا بالجماهير ليرفعوا مستواها ويفككوا قيودها النفسية والفكرية سواء أكانت قيودا موروثة أو قيودا أقبلت مع الاستعمار الأوربي الحديث.

والإسلام اليوم يعاني من أمرين:

الأول: **التصور المشوش** الذي يخلط بين الأصول وبين الفروع وبين التعاليم المعصومة والتطبيقات التي تستحمل الخطأ والصواب، وقد يتبنى الفرد المسلم أحكاما وهمية يدافع عنها دفاعه عن الوحي ذاته.

الثاني: **الجماعات المتربصة** التي تقف بعيدا دون عمل تنتظر لأعداء الله الويل والثبور وعظائم الأمور وهي في ميدان الدعوة الإسلامية بطالة مقنعة».

ثم يقول: «إن المسلم مكلف بإصلاح كل عمل وعمل كل صالح وهذا الانشطار المعيب في السلوك البشري ما هو إلا مرض طرأ على الأمة الإسلامية بسبب انحراف القرون الماضية وليس ذلك إلا ابتعاداً عن منهج الإسلام، والله تعالى يوضح ذلك في قوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧]».

إن أول ما أصاب النفس الإنسانية من عطب توهمها أن الصالحات ما هي إلا العبادات المروية ونسي الإنسان أن ميدان الأعمال الصالحة يستوعب حركاته وسكناته كلها ويحولها إلى قوى تدعم الخير - لأن الإصلاح تغيير نفسي وتغيير عاطفي وتغيير سلوكي في سائر شؤون الحياة - وذلك يجعل الإنسان يسير في طريق الكمال والرغبة في الإحسان وبذلك يسلم المسلم وجهه لله رب العالمين ويكون مستمسكا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

إن الشلل الذي أصاب أيدي المؤمنين في ساحات الإنتاج جعل الناس يأخذون منهم ولا يعطونهم شيئا، وجعلهم يتأخرون بينما يتقدم غيرهم وكان ذلك سببا في حط قدرهم بل حط دينهم معهم.

قضية الأخلاق:

إن المسلمين مصابون بشلل عضوي في أجهزته الخلقية وملكات أفراده النفسية تعوقه عن الحركة الصحيحة وأن المجتمعات الإسلامية تشبه أحياء انقطع

عنها التيار الكهربي فأصبحت غارقة في الظلام، **ولذلك** فإنه لابد من إزالة أسباب الخلل وإعادة الأوضاع التي أسسها السليمة وإلى فطرة الله التي فطر الناس عليها، ويلاحظ أن المسلمين الأوائل كانوا نماذج أخلاقية تجد فيها الشرف والصدق والطهر والتجرد فتصدروا القافلة البشرية.

واليوم أصبح العالم الإسلامي يجري وراء الشعوب الأخرى دون أن يصل إلى مستواها لأن الأخلاق ضعفت، والأخلاق مجموعات متنوعة من الفضائل والتقاليد تحيا بها الأمم كما تحيا الأجساد بأجهزتها وغددها، فإذا اعتلت هذه المجموعات فإننا نرى ما لا يسر في مسالك الأمة العامة والخاصة، ومن ذلك الكذب في المواعيد وفي رواية الأخبار وفي تحول الآداب إلى قشور، وأصبح المسلمون يتميزون بالعجز الإداري وبالفشل العسكري في ميادين الحروب، وقد صرح قادة اليهود بأن المكاسب التي أحرزوها كانت هدية من الانحلال العربي وضعف الأخلاق، والعالم الإسلامي تظهر فيه الانتخابات المزورة وردّ الخطّاب لعدم وجود المال المطلوب والكبر والخيلاء وانتشار الغش في الانتخابات.

إن القرآن الكريم هو أساس حياتنا وفيه جميع الحقائق التي كلف المرسلون بتبليغها، وهو منذ الرسالة وإلى أن تقوم الساعة مجمع العقائد والشرائع التي تكفل للناس الهدى والاستقامة، وقد صانه الله تعالى من التحريف وتكفل بحفظه، فالإسلام بريء من التهم المعلقة به، وقد حدد القرآن الكريم رسالة الأمة الإسلامية في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولا بد من أن تقدم الأمة من نفسها نموذجا حياً وأسوة حسنة لما تدعوا إليه، ولا بد من أن تكون الأمة الإسلامية حارسة للشرف ترفعه عن الدنايا متواصبة بالمرحمة منظور إليها محليا وعالميا لأنها نصيرة المظلوم ومجيرة المستضعف لأن الله تعالى قد أوحى إلى هذه الأمة فعل الخيرات وإقامة الصلاة

وإيتاء الزكاة والخشوع إلى الله تعالى. وهذه الأهداف نسيها كثير من المسلمين ولم يكلفوا أنفسهم محو الشبهات التي أثيرت عمدا حول مقاصد الإسلام.

إن الخاصية الأولى للأمة الخاتمة أنها غيورة على الحقيقة ولا تسكت عن النصيحة ولا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى المسلمين أن يسيروا على هذا المنهج حتى يمكنهم أن يكونوا قدوة فينقذون أنفسهم وينقذون غيرهم.

يقول (وحيد خان) في كتابه (قضية البعث الإسلامي): كتب المفكر الهندوسي (سومروود يكامي) في عام ١٩٠٢م يقول: « إن الوحدة الحقيقية هي آخر كلمة في عالم الدين والفكر وهذا هو الرأي الذي ينتهي إليه الإنسان بالنسبة لكافة الأديان ولكني أرى أن الدين الذي بلغ القمة في المساواة والحب والتعاون بين البشر إنما هو في الإسلام فقط، ولذلك فإني أعتقد اعتقادا جازما أن فلسفة الفدا لا قيمة لها بدون الإسلام العملي وأن الهند التي تمثل نقطة اتصال بين الهندوسية والإسلام يجب أن تخرج في المستقبل القريب من الاختلافات والنزعات حتى تصبح حصنا متينا محكما ».

وكتبت مفكرة مسيحية من استراليا في كتابها (نعمة الإسلام) تقول: « الإسلام هو الحل الناجح والعلاج المفيد لكل داء، وهو النبراس الوحيد للمسلمين، وليس لهم فقط بل للعالم الإنساني كله ».

ماليزيا: لقد استطاعت ماليزيا وهي دولة في شرق آسيا ويحيط به الأعداء من كل جانب أن تكون دولة إسلامية كاملة في كل ناحية من النواحي وجاهرت بذلك وقاومت كل الأفكار المضادة ورفضت المعونة من أمريكا وغيرها وطبقت الإسلام تطبيقا كاملا، وأصبحت نبراسا واضحا لكل دولة تريد أن تكون سعيدة واعية فاهمة، وأن تجعل من أبنائها دعاة للإسلام وللمسلمين، وطالبة من كل الدول الإسلامية أن تكون مثلها فتشعر بالأمن والراحة والاطمئنان وتحس بأنها تؤدي وظيفتها في هذه الحياة تطبيقا كاملا كما تحس برضا الله تعالى عنها في الدنيا والآخرة وقد تغلبت على كل الأخلاق الفاسدة لأن الإسلام هو المنهج الذي تمسكت به كل التمسك.

وفي تركيا: استطاعت بعض المحافظات التي تولى أمرها حكام مسلمون متمسكون بالإسلام أن تنتهي كل المخالفات الأخلاقية للإسلام وأن تلغي الربا والخمر والزنا، وأن تزوج بعض من كن يمارسن الرذيلة وأن توظف بعضهن، وهكذا.

كما أن هناك بعض الدول التي تلتزم بالكثير من أخلاقيات الإسلام مثل باكستان التي تجعل المضيفات في الطيران وفي الفنادق وغيرها محجبات، ولا تبيح الخمر في الفنادق إلا في منطقة للأجانب فقط، كما أنها تحرم الربا.

ولذلك فإنه يمكن لكل دولة إسلامية عصرية أن تلتزم بالإسلام التزاما كاملا فتحس بالراحة والاطمئنان الحقيقي، وتجعل رضا الله سبحانه وتعالى هو الهدف الأول لها في الدنيا والآخرة، وتستطيع أن تجعل نفسها قدوة لكل من أراد أن يسير في هذا الاتجاه الإسلامي، والقدوة في كل هذا هو رسول الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

السؤال الثالث

هل النظام الإسلامي للحكم مرحلة حتمية على الشعوب العربية أن تمر بها في معرض تطورها ؟

يلاحظ أن مشكلة العالم الإسلامي اليوم تكمن في انصراف المسلمين عن الإسلام واتجاههم إلى الحضارة الغربية بقيمها، ومن هنا فقد أصبحنا مسلمين بالاسم والولادة والموقع الجغرافي فحسب، ولذلك أصبحنا من دول العالم المتخلف، فإذا ما أردنا النجاح في هذه الحياة والقيام بوظيفتنا التي اختارنا الله سبحانه وتعالى لها فلابد من العودة إلى الإسلام وعلينا أن نعيد الثقة بأنفسنا وبديننا حتى يكون أساس حياتها في كل مقوماتها.

إن العالم يتخذ من فشل المسلمين سياسيا واقتصاديا دليلا حاسما على عدم صلاحية الإسلام لقيادة المسلمين بل بقيادة العالم كله، وعلينا إذا ما أردنا أن نأخذ مكاننا من جديد في قيادة الإنسانية أن نعتقد اعتقادا حقا يظهر أثره في كل ما نقول أو نعمل، يقول شاعر الإسلام (محمد إقبال): « إن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار بل إنه خلق ليوجه العالم ويفرض على البشرية اتجاهها ويملي عليها إرادته لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلم اليقين، ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه إن مقامه مقام الإمامة والقيادة ومقام الإرشاد والتوجيه، وإذا ما تنكر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة عليه أن يثور عليه وينازله لا أن يستسلم له ويخضع ذلك لأن المؤمن القوي هو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد ».

يقول الشيخ (أبو الحسن الندوي) العالم الهندي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟): « إن القرآن الكريم وسيرة محمد ﷺ قوتان عظيمتان

تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي وتجعلا ن أمة مستسلمة منخذلة ناعسة أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة وحنقا على الجاهلية وسخطا على النظم الجائرة، إن علة العلل في العالم الإسلامي اليوم هو الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة والتبذير الزائد في الحياة فلا يقلقه فساد ولا يزعجه انحراف ولا يهيجه منكر ولا يهمه غير مسائل الطعام والشراب واللباس، ولكن بتأثير الكتاب والسنة إذا وجدا إلى القلب سبيلا يحدث صراع بين الإيمان والنفاق واليقين والشك بين المنافع العاجلة والدار الآخرة بين راحة الجسم ونعيم القلب وبين حياة البطولة وموت الشهادة ».

ويقول الشهيد (سيد قطب) في مقدمة كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للشيخ أبو الحسن الندوي: « إن الإسلام عقيدة استعلاء من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر وروح الثقة من غير اعتزاز وشعور الاطمئنان من غير تواكل وإنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها وتبعة القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة وهدايتها إلى الدين القويم والطريق السوي وإخراجها من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله تعالى من نور الهدى والفرقان، يقول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ».

فرسالة العالم الإسلامي هي الدعوة إلى الله ورسوله والإيمان باليوم الآخر، وجائزته هي الخروج من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، والخروج من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وقد ظهر فضل هذه الرسالة وسهل فهمها في هذا العصر أكثر من كل

عصر، فقد افتضحت الجاهلية وبدت سوآتها للناس، واشتد تذمر الناس منها، فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الإسلام لو نهض العالم الإسلامي واحتضن هذه الرسالة بكل إخلاص وحماسة وعزيمة، ودان بها كالرسالة الوحيدة التي تستطيع أن تنقذ العالم من الانهيار والانحلال.

وقد سجل (الشيخ أبو الحسن الندوي) في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) تاريخ الأديان، فتحدث عن المسيحية في القرن السادس وكيف اضمحلت إلى جانب الحرب الدينية في الدول الرومية والانحلال الاجتماعي والقلق الاقتصادي، وكتب عن مصر في عصر الدولة الرومية ديانة واقتصادا، وكيف كانت مصر من أشقى بلاد الله بالنصرانية، كما تحدث عن الأمم الأوربية الشمالية الغربية، وعن اليهود وعن الصراع بين اليهود والمسيحيين، وكتب عن إيران والحركات الهدامة فيها، وعن تقديس الأكاسرة، وعن التفاوت بين الطبقات، وعن تمجيد القومية الفارسية، وعن عبادة النار وتأثيرها في الحياة، وعن ديانات الصين ونظمها، وعن البوذية وتطوراتها وانحطاطها، وعن الهند ديانة واجتماعا وأخلاقا، وعن الوثنية المتطرفة، وعن الشهوة الجنسية الجارحة، وعن نظام الطبقات الجائر، وعن امتيازات طبقة البراهمة، وعن المنبوذين الأشقياء، وعن العرب في الجاهلية وخصائصهم ومواهبهم، وعن وثنية الجاهلية وعن أصنام العرب في الجاهلية، وعن اليهودية والنصرانية في بلاد العرب، وعن الأدواء الخلقية والاجتماعية، وعن المرأة في المجتمع الجاهلي، وعن العصبية القبلية والدموية في العرب، وعقب على هذا كله بقوله: « وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج، ولا مجتمعا قائما على أساس الأخلاق الفاضلة، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة، ولا دينا صحيحا مأثورا عن الأنبياء ».

ثم تحدث عن النظام السياسي والمالي في العصر الجاهلي فقال: « كان العصر الجاهلي مسرحا لحكم الجائر المستبد وكانت السياسة في العصر ملكية مطلقة تقوم على تقديس بعض الشعوب والأوطان وكان الحكم الروماني في مصر

والشام قائما على ابتزاز الأموال من الرعية لتكون غنيمة لحاكمين وفي إيران كان نظام الجباية والخراج وكان ذلك كله للحكام وكان هناك فصل شامل بين طبقات المجتمع إلى جانب الاستبداد والاضطهاد وشقي بذلك الجمهور في كل مكان ».

ثم تحدث بعد ذلك عن العالم الذي واجهه محمد ﷺ وقال إن محمدا ﷺ نظر بعين الأنبياء إلى الناس فرأى إنسانا قد هانت عليه إنسانيته، رآه يسجد للحجر والشجر والنهر وكل ما يملك لنفسه النفع والضرر، ورأى المواهب البشرية ضائعة أو زائغة لم ينتفع بها ولم توجه التوجيه الصحيح فعادت وَبَالاً على أصحابها وعلى الإنسانية، فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية، والجود تبذيرا وإسرافا، والأنفة حمية جاهلية، والذكاء شطارة وخديعة، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات والإبداع في إرضاء الشهوات.

وتحدث عن نواحي الحياة الفاسدة وقال: إن رسول الله ﷺ لم يكن رجلا إقليميا أو زعيما وطنيا، ولم يبعث لينسخ باطلا بباطل، وقد أتى رسول الله ﷺ بيت الدعوة والإصلاح من بابه ووضع على قفل الطبيعة البشرية مفتاحه، ذلك القفل المعقد الذي أعيا فتحه جميع المصلحين في عهد الفتوة وكل من حاول فتحه بغير مفتاحه فشل، ودعا الناس إلى الإيمان بالله وحده ورفض الأوثان والعبادات والكفر بالطاغوت بكل معاني الكلمة، وقام في القوم ينادي « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »، ودعاهم إلى الإيمان برسالته والإيمان بالآخرة.

وتحدث عن دفاع الجاهلية عن نفسها، والرسول ﷺ يغذي أرواحهم بالإيمان بالقرآن ويربي نفوسهم بالإيمان ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم على طهارة بدن وخشوع قلب وخضوع جسم وحضور عقل فيزدادون كل يوم سمو روح ونقاء قلب ونظافة خلق وتحريرا من سلطان الماديات ومقاومة الشهوات ونزوعا إلى رب السماوات والأرض ويأخذهم بالصبر على الأذى والصفح الجميل وقهر النفس.

أغرب انقلاب وقع في تاريخ العالم:

يقول (الشيخ أبو الحسن الندوي): « لقد كان هذا الانقلاب الذي أحدثه رسول الله ﷺ في قلوب المسلمين غريبا في كل شيء، كان غريبا في سرعته، وكان غريبا في عمقه، وكان غريبا في سعته وشموله، وكان غريبا في وضوحه وقربه إلى الفهم.

وقد أثر هذا الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول وانحلت العقدة الكبرى عقدة الشرك فانحلت معها كل العقد وظهر في المسلمين وخز الضمير والثبات أمام المطامع الشهوات والأنفة وكبر النفس والاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء وظهرت الشجاعة النادرة والاستهانة بالحياة والحرص على الجهاد في سبيل الله وتحولوا من الأنانية إلى عبودية الله سبحانه وتعالى، وأصبح كل مسلم بعيدا عن العصبية الجاهلية وأصبح كل فرد يحس بأنه راع ومسئول عن رعيته ويؤمن بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وحل الرسول في المؤمنين محل الروح والنفس من المجتمع وظهرت نوادر الحب والتفاني في سبيل الله.

وبيّن كيف حول رسول الله ﷺ خامات البشرية إلى عجائب الإنسانية وضرب الأمثلة في خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي وأبو عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب وزيد بن حارثة وغيرهم، وبذلك رأى العالم المتمدين من هذه المواد الخام المبعثرة كتلة لم يشاهد التاريخ البشري أكثر منها اتزانا وكأنها حلقة مفرغة لا يعرف طرفها، أو كالمطر لا يدري أأوله خير أم آخره ؟ كتلة فيها الكفاية التامة في كل ناحية من نواحي الإنسانية كتلة هي في غنى عن العالم وليس العالم في غنى عنها وضعت مدنيتها وأسست حكومتها.

لقد وضع محمدا ﷺ مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب أصابت الجاهلية في مقتلها وصميمها فأرغم العالم العنيد - بحول الله - على أن ينحو نحوا جديدا ويفتح عهدا جديدا ويفتح عهدا سعيدا ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال في جبين التاريخ.

عهد القيادة الإسلامية :

ثم تحدث عن المسلمين وخصائصهم وقال : « ظهر المسلمون وتزعموا العالم وعزلوا الأمم المريضة من زعامة الإنسانية التي استغلتها وأساءت عملها ، وساروا بالإنسانية سيرا حثيثا متزنا عادلا ، وقد توافرت فيها الصفات التي تؤهلهم لقيادة الأمم وتضمن سعادتها وفلاحها في ظلهم وتحت قيادتهم ، ومن أهم خصائصهم :

١ – أنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية التزموا بها .

٢ – أنهم تولوا الحكم والقيادة بعد تربيتهم التربية الخلقية إلى جانب تزكية النفس وتطهيرها من كل ما يخالف أوامر الله تعالى .

٣ – أنهم لم يكونوا خدمة جنس أو رسل شعب يسعون لرفاهيته ومصلحته وحده .

٤ – أن الإنسان جسم وروح وهو قلب وعقل وعواطف وجوارح لا يسعد ولا يرقى رقيا متزنا حتى تنمو فيه هذه القوى كلها .

وقد وصف عالم ألماني مسلم ميزة المسلم وصفا دقيقا فقال : « إن الإسلام لا ينظر كالنصرانية إلى العالم بمنظار أسود بل هو يعلمنا ألا نسرف في تقدير الحياة الأرضية وأن لا نغالي في قيمتها كما تغفل الحضارة الغربية الحاضرة » ، وتحدث عن المدنية الإسلامية وتأثيرها في الاتجاه البشري .

وقال كاتب هندي عصري وهو (ماهاتا) في كتابه الحضارة الهندية والإسلام : « إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور قد انجلت به الظلمات التي كانت تغشى الحياة الإنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدني ، لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في عالم السياسة شأنه في الأقطار الأخرى ، وقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام في الهند مرتبطا بالحكومة فبقيت حقيقة الإسلام في حجاب وبقيت هباته وأياديه الجميلة مختفية عن الأنظار » .

ترى ما الذي جعل العالم الإسلامي متخلفا عن أداء رسالته في هذه الحياة كما فعل السابقون ؟

يجيب على هذا السؤال (الشيخ أبو الحسن الندوي) بقوله:

« إن الأسباب تتلخص في الآتي:

أولا: بطلان الحاسة الدينية وزوال العاطفة الدينية فقد طغى بحر المادية في العالم الإسلامي وفاض وكون رجال الدين جزرا صغيرة في بحر المادية المحيط.

ثانيا: طغيان المادية فقد ارتفعت قيمة المال في عيون الناس ارتفاعا كبيرا.

ثالثا: التدهور في الأخلاق والمجتمع فقد احتل الأجانب الشرق الإسلامي وأصاب الشرق الإسلامي انحطاطا في الأخلاق والاجتماع وسبقت إليه أدواء خلقية واجتماعية كانت من أهم انهيار الدول الإسلامية ولكن مع ذلك لم يزل المجتمع الإسلامي الشرقي – على علاته – محتفظا ببعض المبادئ الخلقية السامية والخصائص الإجتماعية الفاضلة التي لا يوجد لها مثيل في الأمم وقد نضج واكتمل فن الأخلاق عند المسلمين ووصل من الدقة والتفصيل واللطافة ورقة الحواشي ذروة لا يصل إليها ذهن العصر ولا يصورها الغربي إلا في الشعر والأدب ».

نهضة العالم الإسلامي:

يقول (الشيخ أبو الحسن الندوي): إن العالم اتجه بأسره إلى الجاهلية وتجردت أوربا النصرانية من كل ما خلفته النبوة من تعاليم روحية وفضائل خلقية ومبادئ إنسانية وأصبحت لا تؤمن في الحياة الشخصية إلا باللذة والمنفعة المادية وفي الحياة السياسية إلا بالقوة والغلبة وفي الحياة الاجتماعية إلا بالوطنية المعتدية والقومية الغاشمة واستهانت بالغايات ولذلك أصبحت فيلا هائجا يدوس الضعيف ويهلك الحرث والنسل ولأن المسلمين تخلوا عن دورهم في هذه الحياة فقد أصبح العالم كله قطارا سريعاً تسير به قاطرة الجاهلية المادية إلى غايتها وأصبح المسلمون ركابا لا يملكون من أمرهم شيئاً، هذا إلى جانب الاضطهاد الديني والمقاطعة الاجتماعية التي يتلقاها المتمسكون بدينهم الإسلامي، وهكذا أصبح العالم شرقا وغربا في أزمة روحية وخلقية واجتماعية واقتصادية تطلب حلاً سريعاً.

ترى ما هو الحل الوحيد لهذه الأزمة العالمية؟

يقول (الشيخ أبو الحسن الندوي): إن الحل الوحيد يكمن في تحول القيادة العالمية وانتقال دفة الحياة من اليد الأثيمة الخرقاء التي أساءت استعمالها إلى يد أخرى بريئة حاذقة، وعلى العالم أن يتحول إلى العالم الإسلامي الذي يقوده سيدنا محمد ﷺ برسالته الخالدة ودينه الحكيم، هذا هو التحول الذي يعير وجه التاريخ ويحول مجرى الأمور وينقذ العالم من الساعة الرهيبة التي ترقبه.

إن حقا على العالم الإسلامي أن يمني نفسه بهذا المنصب الخطير ويطمح إليه وإن حقا على كل مسلم ان يجاهد في سبيله ويبذل ما في وسعه فهذه هي المهمة الشريفة التي نيطت بالأمة الإسلامية يوم برزت إلى الوجود ويوم ظهرت نواتها في جزيرة العرب.

المسلمون على علاّتهم موئل الإنسانية وأئمة المستقبل:

وعلى الرغم من كل ما أصيب به المسملون من علل وضعف فإنهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض التي يعزم عليها دينها أن تراقب سير العالم وتحاسب الأمم على أخلاقها وأعمالها ونزعاتها، وأن تقودها إلى الفضيلة والتقوى وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة وتحول بينها وبين جهنم ما استطاعت من قوة والتي يحرم عليها دينها ويأبى وضعها وفطرتها أن تتحول إلى أمة جاهلية.

رسالة العالم الإسلامي:

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: إن العالم الإسلامي لا ينهض إلا برسالته التي وكلها إليه مؤسسه محمد ﷺ والإيمان بها والاستماتة في سبيلها وهي رسالة قوية واضحة مشرقة لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ولا أفضل للبشرية منها وهي نفس الرسالة التي حملها المسلمون في فتوحاتهم الأولى والتي لخصها أحد رسلهم في مجلس (يزدجر) ملك إيران بقوله: « إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام »، وهي رسالة لا تحتاج إلى تغيير فهي منطبقة تمام الانطباق على القرن الحادي والعشرين انطباقها على القرن السادس المسيحي

وكأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خرج المسلمون من جزيرتهم لإنقاذ العالم من براثن الجاهلية.

وقد ظهر فضل هذه الرسالة وسهل فهمها في هذا العصر أكثر من كل عصر فقد افتضحت الجاهلية وبدت سوأتها للناس واشتد تذمر الناس منها، فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الإسلام لو نهض العالم الإسلامي واحتضن هذه الرسالة بكل إخلاص وحماسة وعزيمة ودان بها الرسالة الوحيدة التي تستطيع أن تنقذ العالم من الانهيار والانحلال.

والعالم الإسلامي يؤدي رسالته بالروح والقوة المعنوية التي تزداد أوربا كل يوم إفلاسا فيها وينتصر بالإيمان والاستهانة بالحياة والعزوف عن الشهوات والشوق إلى الشهادة والحنين إلى الجنة والزهد في حطام الدنيا وتحمل الأذى في سبيل الله صابرا محتسبا.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤].

ثم يقول: والمهم والأهم لقادة العالم الإسلامي وجمعياته وهيئاته الدينية والدول الإسلامية غرس الإيمان في قلوب المسلمين وإشعالا العاطفة الدينية ونشر الدعوة إلى الله ورسوله والإيمان بالآخرة على منهاج الدعوة الإسلامية الأولى لا تدخر في ذلك وسعا وتستخدم لذلك جميع الوسائل القديمة والحديثة وطرق النشر والتعليم.

والقرآن الكريم وسيرة محمد ﷺ قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي وتجعلا من أمة مستسلمة منخذلة ناعسة أمة فتية وملتهبة حماسة وغيرة على الإسلام وحنقا على الجاهلية وسخطا على النظم الجائرة، حينئذ يقوم في كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي بل في كل أسرة إسلامية في كل بلد

إسلامي: ﴿ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٣، ١٤].

ولابد إذا أراد العالم الإسلامي أن يقوم على قدميه ويفكر بعقله أن يقاوم هذا الخضوع ويكون فيه علماء عمالقة وكتاب جهابذة يتناولون الحضارة الغربية بالنقد والتشريح وكتابات المستشرقين وآراءهم بالجرح والتعديل ويتبحرون في العلوم الإسلامية ويتعمقون فيها حتى يستفيد منها كبار المستشرقين في أوربا وأمريكا ويصححون بها آراءهم وأخطاءهم ويوجه رواد العلم والتحقيق والدراسات العالية إلى عواصم العالم العربي وحواضر العالم الإسلامي - كما اعتادوا أن يتوجهوا إلى عواصم أوربا وأمريكا - فهذه المدن الإسلامية أولى أن تكون مركزاً للثقافة الإسلامية والعلوم الدينية وآداب اللغة العربية من العواصم الأوربية وجامعات أوربا ومن سقوط الهمة والقناعة أن تتخلى هذه العواصم العريقة في العلم والدين عن زعامتها العلمية ومكانتها الرئيسية وبالاستعداد الروحي والاستعداد الصناعي والحربي والاستقلال التعليمي ينهض العالم الإسلامي ويؤدي رسالته وينقذ العالم كله من الانهيار الذي يهدده فليست القيادة بالهزل إنما هي جد الجد، ولذلك فهي تحتاج إلى الجد والاجتهاد والجهاد والاستعداد الكامل.

وكل امرئ يجري إلى يوم الهياج بما استعدا

ويلاحظ أنه لا أمل في سعادة البشرية إلا في تحول القيادة والقوة من الغرب المادي الأناني الذي لم يعد قادرا على إسعاد البشرية ولا رغبة له فيه إلا من يحمل للعالم وللإنسانية روحا جديدة وتصميما جديدا ويعتبر نفسه مسؤولا عن ذلك أمام الله تعالى مكلفا به من قبله وهو المسلم الذي ينتظره العالم من جديد ويهيب به شاعر الإسلام (محمد إقبال) فيقول: «أنت للسر الإلهي حارس وأمين، ولسيد هذا الكون يسار ويمين، لقد كانت نشأتك من التراب ولكن بك

قوام العالم وبقاء الأمم، اشرب كأسا فائضة من اليقين، وانهض من حضيض الظن والتخمين، انتبه من السبات العميق الذي طال أمده واشتدت وطأته ».

رجاء العالم الإسلامي في العالم العربي:

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: إن العالم العربي بمواهبه وخصائصه وحسن موقعه الجغرافي وأهميته السياسية يحسن الاضطلاع برسالة الإسلام ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الإسلامي ويزاحم أوربا بعد الاستعداد الكامل وينتصر عليها بإيمانه وقوة رسالته ونصر من الله ويحول العالم من الشر إلى الخير ومن النار والدمار إلى الهدوء والسلام.

هذه هي القيادة العالمية التي هيأتها البعثة المحمدية وأعلنتها سورة الإسراء وهي القيادة التي يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ويعضوا عليها بالنواجذ ويسموا إليها بكل ما أوتوا من مواهب ويتواصى بها الآباء والأبناء، ولا يجوز لهم في شريعة العقل والدين والغيرة أن يتخلوا عنها في زمن من الأزمان ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة وليس في غيرها عوض عنها وكفاية، وهي القيادة التي تشمل جميع أنواع القيادة والسيادة وهي تسيطر على القلوب والأرواح أكثر من سيطرتها على الأجسام.

إن الطريق إلى هذه القيادة ممهدة ميسورة للعرب وهي الطريق التي جربوها في عهدهم الأول، الإخلاص للدعوة الإسلامية، واحتضانها وتبنيها والتفاني في سبيلها، وتفضيل منهج الحياة الإسلامية على جميع مناهج الحياة.

والأستاذ أنور الجندي رحمه الله يقول في كتابه (الإسلام يتألق من جديد): « الإسلام حرر البشرية من العبودية والرق والربا حيث ألغى ملكية الجسد والروح، وكانت الحضارات السابقة له قد فرضت الرق على الشعوب وبرز في ذلك كبار فلاسفة الإغريق " أرسطو وأفلاطون " كما أن المسيحية الغربية لم تستطع حل المشكلة ذلك لأن إلغاء الإسلام لفوارق الأجناس والدماء والألوان وجمع الناس في وحدة كبرى هي وحدة التوحيد الخالص لهو أكبر المعطيات التي يحتاج إليها الناس في ذلك العصر ».

لقد كان من أبرز معطيات الإسلام تكامل القيم والربط بين المنهج والتطبيق، بين الفرد والمجتمع، بين الروح والمادة، بين القلب والعقل، بين الدنيا والآخرة، كما أعطى الإسلام قاعدة المسؤولية الفردية والالتزام الخلقي والجزاء الأخروي للناس جميعا.

إن حاجة البشرية إلى الإسلام تزداد يوما بعد يوم بسبب فشل كافة الأنظمة التي قامت تحت لواء سلطان النفوذ العسكري والسياسي الغربي الذي عجز عن تحقيق الأمن والسلام والسكينة للإنسان وهي أهم وأعظم من التقدم المادي والرفاهية المخلوقة بالوثنية.

يقول أحد الباحثين الغربيين: « إن المسلمين عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي فهم يملكون تراثهم الروحي الذي حررهم ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة فهم جديرون بأن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين وانتشروا في الأرض يرسون فيها قواعد الحضارة الإسلامية لعالم جيد ».

ثم يقول الأستاذ أنور الجندي بعد أن تحدث عن الصحوة الإسلامية وما استطاعت أن تحققه للدعوة الإسلامية: « أصبح الفكر الإسلامي اليوم قادرا على تحطيم محاولة احتوائه واستعادة كيانه الخاص ومعنى ذلك أننا انتقلنا إلى مرحلة جديدة أشد أصالة بعد أن قضينا القرن الماضي في معركة الدفاع عن النفس وعن حقائق الإسلام ودحض الشبهات الموجهة إليه، تلك المرحلة التي بدأت فعلا خلال العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري هي إقامة القواعد الأساسية لبناء منهج أسلمه العلوم والمناهج وتصحيح دائرة المعارف المشوبة بالشبهات وإقرار دور المسلمين في بناء العلوم الحديثة وإقامة حجة التوحيد الخالصة من خلال الإعجاز الطبي للقرآن.

لقد استطاع النفوذ الغربي أن يخدع المسلمين خلال أكثر من مائة سنة بأنه يعمل على تمدينهم وتحضيرهم ودفعهم إلى مصاف دول الغرب إذا هم تخلوا عن

منهجهم وقيمهم وقبلوا الإسلام دينا لاهوتيا صرفا قائما على العبادة وارتضوا منهج الغرب في السياسة والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك وقد سار المسلمون شوطا في تقبل هذه المؤامرة ولم يعودوا منها إلا بعد أن صدموا حين أحسوا بأنهم يوردون أنفسهم وأمتهم مورد الـهَلَكَة ولم يوقظهم إلا الارتطام الشديد في معركة ما يسمى بالنكسة حينئذ عاد المسلمون إلى رشدهم وأمنوا بأن أزمتهم الحقيقية ليست إلا في بعدهم عن الإسلام وأن كل ما أصابهم إنما كان مصدره تخليهم عن منهج الله تبارك وتعالى وقد تأكد المسلمون على مدى تاريخهم الحافل بأنهم كلما تخلوا عن منهج الله تعالى أذلهم الجبابرة والظالمون وكلما عادوا إليه رد الله عليهم وجودهم.

ويجب أن يكون واضحا أمام المسلمين أن الحقيقة الأساسية هي أن التقدم المادي والرفاهية لا يحققان كامل طبيعة الإنسان ولا يَعِدَانه بالجنة الموعودة في الأرض، وأن الرفاهية مثل الفقر تماما يمكن أن تترك الفرد فارغا من الداخل، وأن الله تبارك وتعالى قد وعد المسلمين بالتمكين والنصر والأمن من الخوف إذا هم أقاموا منهجه في الأرض:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥].

تميز الأمة الإسلامية:

إن الأمة الإسلامية قد تشكلت على القرآن الكريم منذ اليوم الأول الذي وقف فيه محمد ﷺ على الصفا ينادي بأنها أمة متميزة بناها الإسلام على طراز متميز وكيان مستقل يختلف عن الأمم التي سبقتها أو عاصرتها أو جاءت بعدها، إذ أقامها على إسلام الوجه لله رب العالمين تؤمن به وتتوجه في مسؤولياتها وسعيها إلى أداء مسؤولياتها الحقيقية، وهي إقامة المجتمع الرباني وتبليغ كلمة

الله تبارك وتعالى للبشرية وتقييم نفسها على العزم والقوة والإعداد والقدرة على الردع حتى تحمي وجودها وتحفظ كيانها من أن يطمع فيها طامع أو يحاول الفكر البشري أن يحتويها.

إن الإسلام قدم لمعتنقيه منهجا كاملا جامعا لحركة الحياة إنه منهج مرن واسع فسيح الأرجاء قادر على حماية المسلم من الانحدار والتمزق ولكنه لا يحول بينه وبين السعي والكسب والعمران ولكنه يقيمه على الجادة فيكشف له الحلال والحرام والحق والباطل والخير والشر ولا يدعه في هوة لا يعرف وجهته الحقيقية.

ومن هنا فقد كانت هذه الأمة متميزة على نحو يدهش له دارسوا أخلاقيات الأمم على حتى يقول (المسيو ريمون) الرحالة المشهور: «أنه عند تطوافنا في مجاهل أفريقيا لم نكن نأمن على أنفسنا وعلى رجالنا إلا عند المسلمين وكنا نصادف منهم أنسا ولطفا وحسن ضيافة بخلاف جيرانهم من الناس الذين لا دين لهم الذين كثيرا ما غدروا بنا وبرجالنا حتى إننا كنا نضطر إلى استعمال الأسلحة النارية دفاعا عن أنفسنا»، وقال أيضا: «إن الإسلام انتشر في جهات أفريقيا وأسيا وكان انتشاره طبيعيا لأن المسلمين كانوا قدوة في أعمالهم الحسنة لسائر جيرانهم فلحقوا بهم وحذوا حذوهم وبالتدريج عرفوا ما الإسلام فاعتنقوه وصاروا مسلمين».

وإن الإنجليز والألمان استخدموا كثيرا من المسلمين في معسكراتهم فصادفوا منهم غاية الأمانة وحسن الوفاء وغير ذلك، وقال (أرنولد تونبي): «إن الغرب اتجه إلى استعباد الدول وسلب ثرواتها بينما اتجه الإسلام إلى تحرير الدول والإنسان، ولم يكن الزحف الإسلامي قط استعمارا ولا استعبادا ولا استيلاء على الأرض بل إنه كان عدالة مطلقة فقد تحررت البلدان الشرقية بالزحف الإسلامي من الاستعباد الروماني، وقد امتد هذا التحرر من سوريا إلى أسبانيا وشمال أفريقيا وقد كانت تلك البلاد تحت الحكم الإغريقي منذ زحف الإسكندر المقدوني حتى تحررت في القرن السادس».

إن تميز الأمة الإسلامية ليس قضية المسلمين وحدهم ولكنها قضية عالمية يحفزها تطلع إلى مشرق عصر جديد في ضوء هذه المفاهيم والقيم ولعل هذا ما يعيد الثقة في نفوس الشباب المسلم إيمانا بدينهم وبالدور الضخم والخطير الذي قام به في بناء الإنسانية وما زال موجودا لإتمامه بعد أن انحرفت الحضارة الغربية عن الطريق الرباني الأصيل.

ثم يطالب الأستاذ (أنور الجندي) رحمه الله المسلمين أن تكون التربية الإسلامية قائمة على نحو سليم لحماية هذه الأجيال ومن ذلك:

أولا: تنمية الحجاب لدى المرأة المسلمة وتشجيع الانفصال في التعليم عن الرجل.

ثانيا: توضيح اختلاف نظرة الإسلام لكثير من الأمور النصرانية واليهودية وعن الفكر البشري بشقيه.

ثالثا: ملء قلوب الشباب المسلم بالإيمان بالله تبارك وتعالى والثقة به.

رابعا: التصدي للشبهات المثارة.

خامسا: الربط بين العناصر الثلاثة للإسلام (التوحيد، الشريعة، الأخلاق)، وتجميع القوة العاملة على وحدة الفكر.

ويقول في كتابه (العودة إلى الهوية الإسلامية): « إن أخطر ظاهرة في المجتمع الإنساني العالمي اليوم هي صعود حضارة الإسلام من جديد، إن هذه التحولات التي تتعدد والتغيرات التي تتوالى لتكشف عن حقيقة ناصعة تؤكد أن منهجها الرباني الذي غمر العالم كله أربعة عشر قرنا لدين عالمي للبشرية كلها وإلى أن تقوم الساعة قد استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ليكشف العلاقة العلامات الفارقة بين نور الإسلام وظلمات الوثنية وبين ضياء الحق وسحابات الباطل ليؤكد قول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣]، فقد كشفت الأبحاث العلمية اليوم عن حقائق سجلها القرآن الكريم والسنة النبوية منذ خمسة عشر قرنا، وهذا هو الإعجاز العلمي

الذي يهز الآن دوائر الغرب ليؤكد أن وراء هذا الكون المادي خالقا قديرا تبدأ الأمور منه وتنتهي إليه ».

ويتحدث عن عودة الأمة الإسلامية إلى الأصالة ومنهج الله فيقول: « يجب أن نكون على ثقة لا تتزعزع بأن الإسلام نجم صاعد في سماء البشرية منذ فجر تلك اللحظة التي أذن الله تبارك تعالى بأن يضيء نور العالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، نعم لقد أعطى الإسلام كثيرا وكتب وجوده الخالد لأنه أصلح البشرية وكشف عنها فساد الوثنية والإباحية.

ولقد جاء عشرات العلماء والمفكرين الغربيين ليسجلوا عظمة الإسلام المتجددة وعطاءه الوافر وتصديقهم لحقائقه وإيمانهم بكل ما جاء به، ومنذ وقت طويل أعلنوا تقديرهم للشريعة الإسلامية وتميزها عن القانون الروماني الغربي، ولم يعد يقف في وجه الإسلام ويحمل عليه اليوم إلا أعداء الإنسانية وأصحاب المطامع المتطلعين إلى السيطرة، لقد عاش الإسلام قائدا للبشرية أكثر من ألف سنة دون أن يعتدي على أحد بل إنه كان حصنا لمن يلوذ به وسوف يظل الإسلام قادرا على حماية وجوده لأنه رسالة الإنسانية الخالدة ».

وقال: « ليس أمام الغرب منقذ إلا الإسلام، الإسلام الذي يضيء الطريق أمام المؤمنين ويكشف زيف أعدائه ».

وقد كشف (هوفمان) أن الإسلام لا يسمح بأي تدخل خارجي بين العبد وربه فليس في الإسلام وسيط سواء أكان خليفة أم إماما أو قديسا، وقد أدرك (هوفمان) أن تحرر المسلمين من الوصايا التي تفرضها المؤسسات الدينية على علاقاتهم بالله هي أنسب وسيلة لبناء العلاقة بين الله تبارك وتعالى والإنسان الناضج والإنسان العصري، وأوضح (هوفمان) أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يستطيع أن يجذب الشباب في اهتمامه بالإخاء بين الناس ورفضه الطبقة الدينية واهتمامه الأكيد بالحياة.

والدكتور (إدوارد غالي) المسيحي المصري والمستشار القانوني يؤكد

سلامة معطيات الإسلام بالنسبة لتغير المسلمين ويقول: « دراستي للإسلام أكدت لي أنه دين العدالة والمودة للبشر جميعا، لقد كان الكسب الوحيد الذي تحقق لي من الأحداث المؤسفة المسماة بالفتنة الطائفية هو أنني عكفت على دراسة الإسلام دراسة منصفة، وأن تلك الدراسة قد صححت عندي كثيرا من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، إذ تبينت أن الإسلام دين العدالة والمساواة والرحمة والمودة وحسن المعاملة للبشر جميعا، بل إن الإسلام يأمر بالرحمة والشفقة على الحيوان وليس على الإنسان فقط، وأن الإسلام يرفع من شأن الإنسان من حيث هو كائن بشري قبل أن يصبح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا أو بوذيا، والنصوص القرآنية في هذا الصدد شديدة الوضوح لأنها تتحدث عن الإنسان أو عن بني آدم أي عن الناس، وقد بينت الآيات القرآنية حرية العقيدة وأنه لا إكراه في الدين، كما بينت أن التاريخ قد سجل التزام المسلمين بقاعدة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة:٢٥٦]. وبغاية الدقة فأبقى المسلمون في جميع البلاد التي فتحوها على الديانات والملل وحموها ومكنوا أهلها من أداء شعائرهم وأن العدل في الإسلام قيمة مطلقة وليست نسبية وأنه لا رخصة فيه من قريب أو بعيد ».

كما يكشف الكتاب عن أهمية خاصة لأهل الكتاب وقد اعترف الإسلام بأنبياء اليهود والسيد المسيح وبذلك أضاف وشيجة إيمانية إلى الوشيجة الإنسانية محورها الأساسي أن هذه الأديان الثلاثة تؤمن بالله تبارك وتعالى إلها واحدا أحدا لا شريك له.

وقد أجمع المؤرخون على أن الأقباط تمتعوا في ظل الحكم الإسلامي بحرية تامة في ممارسة شعائرهم الدينية واستعادوا كنائسهم التي اغتصبها الروم.

وقد بلغ الإسلام شأنا عظيما في حسن معاملة الأقليات والبر بهم والقسط إليهم حتى ولو كانوا من الأعداء، ومن الظلم البين أن يحاسب الإسلام بتصرفات بعض المسلمين فالعدالة تقضي بأن تقاس تصرفات المسلمين بمعايير الإسلام.

آفاق مضيئة في وجه الدعوة الإسلامية :

تحت هذا العنوان يتحدث الأستاذ أنور الجندي رحمه الله عن مراجعة بوكاي للكتب المقدسة ويقول : كان بوكاي يحاول متحديا أن يجد في القرآن نقطة تبدأ بالشك فرده القرآن متراجعا إزاء جلال النص القرآني وعظمته، وقد وجد بوكاي الطبيب الذي هداه الله تبارك وتعالى عن طريق البحث العلمي إلى أن يجد في القرآن ذلك الضوء الكاشف الذي تتطلع إليه المجتمعات المعاصرة الحاضرة بد أن شاقها التطلع إلى هدى مقنع كشف الطريق الصحيح للبشرية بعد أن حوصرت خلال الأربعة القرون الأخيرة في نطاق الفلسفة المادية.

وقد ألف (موريس بوكاي) كتابه (التوراة القرآن والعلم) وقد ترجم إلى أكثر لغات العالم وأحدث ضجة وآثارا ضخمة جد خطيرة يجب أن يلم بها القارئ المسلم ليكون على علم بذلك التيار الجديد الذي يقدم القرآن والإسلام إلى أهل الغرب عن طريق البحث العلمي والمقارنة مع العهد القديم، وليزداد الذين آمنوا إيمانا وليكون ذلك مزيدا من الأسلحة التي يستطيع أن يستعملها الدعاة إلى الله تبارك وتعالى مع من يحاورهم.

إن اشتمال القرآن على جميع العناصر التي هي من الوقائع الراهنة التي أخذت في هذا القرن العشرين بفضل المعارف الحديثة بعد أن كان مجهولا إلى هذا الحين ليحملني على دعوتهم إلى التدبر في هذه الآية الكريمة في سورة البقرة : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة :٢٤٢].

والدكتور (موريس بوكاي) بلغ مرحلة فكرية تربوية في الكشف عن عظمة القرآن وعن اضطراب التوراة والإنجيل بالدليل العلمي مصدقا لما أشار به القرآن من أن أصحاب هذه الكتب جعلوها قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا منها، وبوكاي أيّد بلسان المقال عبارة القرآن الكريم : ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء :٨٢].

ومازال الحق تبارك وتعالى يكشف عن آياته : ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ

وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت :٥٣].

ثم تحدث الأستاذ أنور الجندي عن تكامل الفكر الإسلامي الذي يظهر في كامل الروح والمادة وتكامل القلب والعقل وتكامل الدنيا والآخرة فيقول: «لقد حرر الإسلام البلاد التي دخلت في دائرة حكمه من العبودية، عبودية الإنسان للإنسان وعبودية شعب لشعب وعبودية الشهوات والملذات والمطامع، ثم رأت شعوب المنطقة إعادة تشكيل نفسها في ظل الإسلام بعد أن رأت سماحة الإسلام وحمايته لوجودها ولمادتها حتى قبلت راضية الدخول فيه وتكونت عالمية الإسلام من هذه الدعوة المفتوحة التي لم تحتكر العالم على العرب وإنما أشاعت ذلك في كل العناصر التي تستظل بظل الإسلام، فالبخاري من بخارى والخوارزمي من خوارزم والقابسي من قابس والبيروني من بيرون في بلاد السند وابن خلدون تونسي قحطاني وابن النفيس القرشي من دمشق فكلهم أسرة إسلامية واحدة».

ودعوة الإسلام كانت الدعوة الكبرى للتوحيد الخالص لله تبارك وتعالى الذي منه تبدأ الأمور كلها وإليه تنتهي والذي جعل التماسك بالقرآن أساسا موحدا للمسلمين مع إلغاء العصبية المذهبية، وقد جعل الإسلام الأخلاق ميزانا لكل القيم فهي جزء من العقيدة ولها ثباتها واستقرارها، كما جعل الوحي والعقل متكاملين فالوحي نور العقل والعقل لا ينطق إلا في ضوء الوحي، وإن الأخلاق في الإسلام تخاطب الفطرة السليمة والوجدان المباشر، إن أخلاق الدين قادرة على هداية الإنسان وتقدم الشعوب والمجتمعات بما تمنحه من طاقات روحية هائلة.

إن الإسلام هو القادر على حل أزمة الغرب النفسية والاجتماعية وقد ظهر بما ليس له مزيد، أن حضارة الإسلام حضارة أخلاقية تجمع بين الفكر والعمل وهي كما عبر عن ذلك بعض الباحثين:

١- لا تقدس الفكر ولا ترفعه فوق العمل كما كان الشأن في الحضارة

اليونانية القديمة.

٢- تجمع بين المادة والروح وترى أن المجتمع المتكامل السليم هو المجتمع الذي لا يهمل الحوافز الروحية إلى جانب الحوافز المادية في عملية التطور ولهذا كانت الأمة الإسلامية الآخذة بهذه الحضارة أمة وسطا، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٧]، وقيم الإسلام الدافعة إلى التقدم الحضاري ما هي إلا قيم ذات فعالية إيجابية في واقع المجتمع.

الإسلام شريعة متكاملة:

لقد كان الإسلام وما زال شريعة متكاملة تستوعب كل أوجه الحياة دينا ودنيا وضبط علاقة الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى بينه وبين غيره من بني البشر جميعا، وقد تميز الإسلام بحقيقتين أساسيتين تملآن قلوب المؤمنين في نصر الله تبارك وتعالى من خلال أشد ظلمات الاضطهاد والقسوة:

الأولى: أن الإسلام يصعد في بقع جديدة ويفتح بلادا جديدة ويكسب في أشد أوقات المحنة في مناطق جديدة وبخاصة في مواجهة تحديات الصهيونية والشيوعية والعلمانية.

الثانية: أن الإسلام يرد المسلمين إلى الطريق الصحيح كلما انحرفوا عنه ويفتح لهم آفاقا جديدة من آفاق تصحيح المسيرة على طريق الله تبارك وتعالى إلى إقامة شريعته وتحقيق بناء مجتمعه.

ومن أبرز مظاهر الصعود:

أولاً: تجارب المسلمين والمسلمات تكشف الدراسات من توسع دائرة المسلمين في الغرب حيث وجد الملايين في الإسلام أمانا وسلاما وتسليما

وتلبية لحاجة الروح والتطهر من أدران المادية التي أضاعت هذه المجتمعات.

ثانياً : العلماء التجريبيون وموقف العلم الطبعي من وجود الله تبارك وتعالى، ومن أهم مظاهر صعود الإسلام ما تكشف عنه المؤتمرات التي تدرس جانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وقد قطع علماء المسلمين خطوات واسعة في إقرار حقيقة وجود الله تبارك وتعالى وعجز العلم الطبعي عن فهم هذه الحقيقة.

ثالثاً : مفاتيح جديدة إلى القرآن ومعطياته قد تحقق في هذه الفترة توسع جيد في عطاء القرآن الكريم إلى العالمين، وتكشفت حقائق كثيرة جاء بها القرآن الكريم لم يكن العلم الحديث يعرفها إلى وقت قريب في مجالات خلق الإنسان أو خلق الكون وجاءت كتابات موريس بوكاي بمثابة تأكيد مطلق للحقيقة الإلهية في أن القرآن وحده قد حل معه في هذا القرن السابع الميلادي هذه الحقائق التي تكشفت في القرن العشرين لتؤكد أن مصدره هو الله تبارك وتعالى وأن أحدا في عصر نزول القرآن لم يكن يعرف شيئا عن هذه الحقائق.

رابعاً : موقف العلماء الذين أسلموا من علماء الحضارة الغربية والنظام الرأسمالي، يقول جارودي : إن كلا النظامين الرأسمالي والاشتراكي قد فشلا في تحقيق العدل وإسعاد البشرية أو تحقيق الرفاهية ولكن النظام الإسلامي نظام يهدف إلى تحقيق الحياة الكريمة لكل البشر.

خامساً : الصحوة في تركيا وأسبانيا، لقد كان واضحا أن الإسلام قدم للمسلمين المنطلق الذي يعيدهم إلى القوة والحياة بعد أن تمر عليهم مراحل الاضطهاد والضعف ويبدوا واضحا من خلال تركيا والأندلس في المرحلة الحاضرة حيث ينكشف أمام الناس جميعا أن التحول الذي تحولوا إليه عن الإسلام كان محاولة لتدمير وجودهم الحقيقي، ولكنهم ما كانوا يستطيعون مقاومته أو الاعتراض عليه إلا بعد أن ظهرت النتائج وانكشفت العورات، ففي أسبانيا اتسع نطاق الجمعيات والمراكز الإسلامية في مدريد وبرشلونة وغرناطة وأشبيلية ومالطة وقرطبة، وهكذا اشتعلت الانبعاث الإسلامي، يقول أحد دعائم

الإسلام في الأندلس مخاطبا الأسبان: « الإسلام هو الأمل المضيء أدعوكم لاكتشافه كما أدعوكم لإثبات الحقيقة الإلهية الواحدة ».

وفي تركيا تتوالى الخطوات من أجل العودة إلى الإسلام وظهر ذلك في الانتخابات المختلفة الأخيرة مما يؤكد أن الشعب التركي يلفظ العلمانية ورجالها، ويعمل على أن تكون تركيا دولة إسلامية مطبقة للإسلام الكامل كما كانت في فترات سابقة.

السؤال الرابع

هل تأخذ ظاهرة اليقظة الدينية التي برزت في السنوات الأخيرة منحى إيجابياً؟

قال (برنارد شو) الكاتب والفيلسوف المعروف: « سيجيء يوم يعتنق فيه الغرب الإسلام، مضت قرون كاملة كان للغرب فيها كتب وصحف مملوءة بالافتراءات على دين الإسلام ونبيه، فلما ترجمت معاني القرآن وبعض كتب الإسلام إلى لغات أوربا ولاسيما اللغة الإنجليزية فهم رجال الغرب أن الإسلام الحقيقي ليس هو الذي كانوا يقرؤونه في الكتب والصحف في السابق، وقد أصبح الرجل الغربي يميل بطبعه إلى الإسلام لأنه الدين الوحيد الذي ينظر إلى أمور الدنيا والآخرة معا »، ثم يقول: « إني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم أجمع لتم له النجاح في حكمه، ولقاده إلى الخير ولحل مشاكله على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة وهو يشرب فنجانا من القهوة ».

يقول (جوستاف لوبون) المؤرخ الكبير: «حسب هذا الكتاب-يقصد القرآن الكريم- جلالاً ومجدا أن الأربعة عشر قرنا الماضية لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضا كأن عهده ورسالته بالوجود أمس ».

و(جولد زيهر) المستشرق اليهودي وهو من أشد أعداء الإسلام، يقول: « إن الإسلام رسم للحياة مثلا أعلى غير المثل العليا للحياة الجاهلية، وفي الإسلام الخضوع لله وحده والانضباط والانقياد لأمره والصبر وإخضاع الشخص لأمر الدين والقناعة التامة بالإسلام وعدم التفاخر والتباهي وتجنب الكبر والعظمة وذلك هو المثل الأعلى للإنسان في الحياة ».

والصحوة الإسلامية انطلقت تواجه التخلف العثماني والتقدم الاستعماري، وبناء الصحوة الإسلامية يضم جماعات إسلامية متعددة والذي يتخذ من الإسلام فكر نبيه والذي قطع جميع الصلات التي تربط العمل المسلم بالحضارة البشرية بتياراتها المختلفة وتركيزه على فرض واقع الإسلام المحكوم والمشبع بفكر التغريب المخالف لكثير من القيم الإسلامية وترك ما تتميز به الحضارة الإسلامية من خصائص والمهم:

١- التركيز على الإسلام السياسي.
٢- والجرأة التي جعلته يعطي نفسه الحق والصلاحية للتفكير.
٣- ونظرية الحاكمية الإلهية.

ويقول (الشيخ أحمد بن حجر) العالم القطري: « إذا أراد المسلمون أن يعيدوا مجدهم فعليهم بالعودة إلى الإسلام الذي جاء بعقيدة واضحة نيرة لا لبس فيها ولا غموض ولا تعقيد وجعل الإسلام الصلة الوحيدة بين العبد وربه بلا وساطة، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]، وفي الإسلام كل إنسان مسئول عن عمله ولا تزر وازرة وزر أخرى، والإسلام شرع الطهارة والنظافة وجعلها فرضا حتميا، والصلاة صلة بين العبد وربه وتمثل الخضوع للخالق سبحانه وتعالى، **والزكاة** تطهر نفس المزكي من أدران الشح والبخل وتمسح الحقد من قلوب الفقراء نحو الأغنياء، وتحل مشكلة الفقر، **والصيام** يحدث لصاحبه ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه إلى جانب فوائده الجسمية والعقلية والروحية، والحج فيه غفران للذنوب إلى جانب أنه مؤتمر سنوي عام ويقوم على اعتبار أن المسلمين جميعا وحدة متماسكة، والحدود في الإسلام فيها منافع للمجتمع الإسلامي ولا تتحقق بغير تنفيذها والبلاد التي تنفذ حدود الله تعيش في أمن وأمان وسلامة واطمئنان، والنظام الاقتصادي وضعه الله تعالى خالق الكون والبشر العليم بأحوالهم وطبائعهم

وما يصلحهم وما يصلح لهم، وهو لم يلغ حقوق الفرد وتملكه المال ووسائل الإنتاج ولكنه قيدها بقيود إذا طبقت تطبيقا كاملا أصبح المجتمع متعاونا متكاملا، ومن أسس النظام الاقتصادي تحريم الربا وفرض الزكاة التي توجد روح السخاء والتعاون الاجتماعي الحقيقي والتعاطف بين الغني والفقير ».

العبـــادة:

يقول محمد أسد في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق): « يختلف مفهوم العبادة في الإسلام عما هو في كل دين أخر، فالعبادة في الإسلام ليست محصورة في أعمال من الخشوع الخالص كالصلوات والصيام مثلا ولكنها تتناول حياة الإنسان العملية أيضا، ولذلك يجب أن تأتي أعمالنا كلها – حتى تلك التي تظهر تافهة – على أنها عبادات أي يأتيها بوعي وعلى أنها تؤلف جزءا من ذلك المنهاج العالمي ».

إن الإسلام يعلمنا أولا: أن عبادة الله الدائمة والمتمثلة في الحياة الإنسانية المتعددة جميعها هي معنى هذه الحياة نفسها، ويعلمنا ثانيا: أن بلوغ هذا مستحيلا ما دمنا نقسم حياتنا قسمين حياتنا الروحية وحياتنا المادية، ويجب أن تقترن هاتان الحياتان في وعينا وفي أعمالنا لتكونا كلاً واحدا منسقا، ومادام الإنسان خاضعا لما يفرضه عليه الله بإخلاص وتقى فإنه بعد ذلك يكون حراً في أن يكيف حياته الشخصية على الشكل الذي توجهه إليه طبيعته، نعم إن واجبه أن يستخرج من نفسه أحسن ما فيها كيما يحس هبة الحياة التي أنعم الله تعالى عليه بها وكيما يساعد إخوانه من بني آدم بما ملكت يداه من وسائل سليمة تؤثر في حياتهم الروحية والاجتماعية والمادية، والنفس الإنسانية لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

والنجاح المادي مرغوب فيه ولكنه ليس غاية في نفسه وعلى كل مسلم أن ينظر في نفسه على أنه مسئول شخصيا عن نشر كل أنواع السعادة حوله وأن يسعى إلى إقرار الحق وإزهاق الباطل في كل زمان ومكان.

ثم يقول: « إن أثر النفوذ في أوربا كان عظيما بعد اقترابه من الحضارة

الإسلامية وأصبح هناك نور عقلي في سماء الغرب ملأها بحياة جديدة وتعطش إلى الرقي ولم يأت التاريخ الأوربي بأكبر من اعتراف عادل قيمة الحضارة الإسلامية – عصر التجديد – الذي نتج من الاحتكاك الحيوي بالثقافة الإسلامية وسمي أيضا – عصر البعث – فإنه كان في الحقيقة ولادة لأوربا ولم يكن أقل من ذلك، إن الإسلام لم يعرف الطبقات الاجتماعية ولا حروب تلك الطبقات في مجتمعه ولكن التاريخ الأوربي كله مملوء بالصراع بين الطبقات والعداء الاجتماعي ».

حياة المسلمين المعاصرة ما الخلل الموجود بها :

يقول (علي القاضي) في مقال نشر له في صحيفة الهداية البحرانية : « العالم الإسلامي في هذه الأيام يعيش صحوة تشمل جميع أقطاره، ولكن هذه الصحوة تلاقي عقبات كثيرة بعضها له أسباب داخلية وبعضها له أسباب خارجية، ترى هل المشكلة تكمن في تشخيص الخلل ؟ أم في عدم وجود الدواء الشافي ؟ أم في المريض الذي لا يتجاوب مع العلاج ؟

أسئلة يجيب عليها الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي فيقول :

« إن الخلل يكمن في غيبة الوعي وفقدان الهوية والتيه عن الغاية ثم ضياع الطريق، **والأمة الإسلامية** وصفها الله تعالى بالخيرية لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تعالى، لكنها نسيت نفسها وبات فيها من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، إلى جانب أنها تركت المنهج الوسط لتميل إلى الشرق أو إلى الغرب فلم تعد الأمة التي تشهد على الناس وتصلح من أخطائهم وتقودهم إلى الطريق الصحيح.

والأمة المسلمة لا بد وأن تكون أمة واحدة تعبد الله وحده وتأخذ شرعها عنه وحده، ولكنها نسيت ذلك ونسيت نفسها وتركت أهدافها، فلم تعد الأمة الواحدة مع أن الله سبحانه وتعالى حذر المسلمين من ذلك، فقال : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر ١٩].

التقدم المادي: والأمة المسلمة في التقدم المادي لا تزال عالة على الأمم

المختلفة في قيم حياتها المختلفة، وقد أصبحت الطاقات معطلة، وبذلك أصابها الشلل، وأصبح الوقت عندها أرخص شيء، والعمل أثقل شيء، والإنسان أقل الثروات، كما أصبحت الطاقات العقلية معطلة لأننا نقلد ولا نفكر ولا نبتكر.

أو ليس من العجب أن نجد عشرين دولة إسلامية تعلم العلوم بلغات أجنبية بدلا من اللغة العربية؟ بينما إسرائيل تعلم العلوم باللغة العبرية، وحتى العلوم الإنسانية نقلناها عن الغرب حرفيا وإن كانت فروعا من شجرة المادية، ثم إن أنظمتنا التعليمية تخرج موظفين وقد وصل المسلمون إلى درجة كبيرة من غيبة الوعي والفهم والتفكير، حتى قال (موسى ديان) اليهودي في تصريح له لبعض الصحف: «إن العرب لا يقرؤون وإذا قرؤوا لا يفهمون وإذا فهموا لا يتذكرون وإذا تذكروا لا يفعلون».

<u>في الماضي</u>: انتصر المسلمون على المشركين واليهود لأنهم كانوا لا يفقهون.

<u>وفي الحاضر</u>: تغير الوضع مع أننا نعلم أن الله تعالى خلقنا ليبلونا أينا أحسن عملا ولكننا بددنا طاقاتنا وحتى الطاقة الاقتصادية عطلناها مع أننا نعيش في أهم بلاد الله تعالى موقعا وأخصبها أرضا وأحفلها بالمعادن، ولكننا أصبحنا نجور على الأرض الخضراء ونستهلك ولا ننتج ونستورد ولا نصنع ومع ذلك فإننا نفخر بالاستهلاك فلا غرو أن يهلك الملايين منا جوعا، ولذلك أصبح العالم الإسلامي في دائرة البلاد المتخلفة لأننا أعرضنا عن دين الله وتفرقنا شيعا وأحزابا.

<u>الطاقة الروحية معطلة</u>:

إن الإيمان هو مفتاح شخصية هذه الأمة ومفجر طاقاتها وهو الذي يجعلها خير أمة أخرجت للناس وبهذا الإيمان انتصر المسلمون على هجمات التتار الزاحفين من الشرق وعلى هجمات الصليبيين المهاجمين من الغرب وهذا ما فعله اليهود في العصر الحاضر لقد تشبثوا بتعاليم التلمود فنجحوا وتركنا ديننا فأصبحنا غثاء كغثاء السيل والأمة الإسلامية كلها مسئولة وهذه المسئولية تشمل الحكام والعلماء والمعلمين وأجهزة الإعلام وغيرهم.

الحركة الإسلامية:

الحركة الإسلامية يدخل فيها كل الجماعات العاملة لتجديد الدين وتحكيم شريعته وإحياء الأمة به والعودة به إلى مكانه في قيادة الأمة وتطبيقه في مجالات الحياة، والحركة الإسلامية تقاومها قوى الطغيان الخائفة من الإسلام في الداخل وقوى الاستعمار الكارهة للإسلام من الخارج ولذلك فهي لا تخرج من محنة إلا وتدخل في محنة أخرى.

ومن داخل الحركة الإسلامية نلاحظ ما يأتي:

أولا: ضعف النقد الذاتي: بمعنى محاسبة النفس وهو شأن النفس اللوامة، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

ثانيا: الانقسام والاختلاف: قد أصبحنا نشاهد الكثير من الانقسام والاختلاف بين فصائل الجماعات المتعددة ولا بد من التقارب إذا ما كان هناك تعدد فإنما يكون في النوع والتخصص، ولا بد من تعدد الاجتهادات ولابد من إحسان الظن والوقوف صفا واحدا في القضايا الكبرى قضايا الوجود الإسلامي والمصير الإسلامي.

ثالثا: غلبة الاتجاه العاطفي: الإسلام يقوم على الجانب العاطفي والجانب العقلي في تعاليمه مثل الحب في الله والبغض في الله لأن الإسلام يخاطب في الإنسان قلبه وعقله معا.

والجماعة الإسلامية الموجودة لنصرة الإسلام تقوم على وحدة المفاهيم ووحدة التنظيم ووحدة المشاعر، ويلاحظ في الجماعات الإسلامية المعاصرة ما يلي:

- قصور الدراسة والتخطيط.
- العجلة: والإنسان المتعجل لا صبر له ولا أناة مع أن الرسل لم ينتصروا من أول دعوتهم.
- المبالغة في الإعجاب بالنفس والمبالغة في نقد غيرهم.

والحركة الإسلامية تعمل في مناخ لا يسمح فيه للإسلام أن يقول كلمته بصراحة ولا أن يجمع أبناءه في حرية وهناك جهات أجنبية تعمل بجد لإدخال هذه

الصحوة في متاهات متنوعة وتشغلها بالنوافل عن الفرائض وبالفروع عن الأصول وبالشكل عن الجوهر وبالمختلف فيه عن المتفق عليه كما تعمل على تشويه ما سموه بالتطرف الديني، **وهم يعملون دائما على الآتي:**

- تنفير الجماهير من ظهور الإسلام نظاما حاكما للحياة
- شغل الشباب بالقضايا الجانبية وتبديد جهوده بما لا يعود بفائدة ما.
- شغل القوى الإسلامية بعضها ببعض.
- إعطاء السلطات الحاكمة فرصة لضرب العمل الإسلامي كله.
- تنفير الناس من الإسلام ودعاته.

ويقول القس السنغالي (توماس كارسن): « لقد وجدت في الإسلام المعتقد الحقيقي للإنسان حيث الوحدانية لإله لم يشترك معه أحد في خلق هذا الكون وإبداعه، إله واحد لا معبود سواه، إله واحد قادر على كل شيء، لقد شعرت أنني كنت في غياهب جب لا يسمع إلا صدى صوته فقط، فإذا بي أخرج من هذا الجب المظلم إلى النور لأشهد أن الله واحد لا شريك له وأن محمدا عبد الله ورسوله، جاء بالحق الذي يجب أن يتعرف عليه العالم، وتسميت باسم محمد فوما حارث »، ثم يقول: « إن الإسلام هو دين الأنبياء جميعا، أصّله محمد بن عبد الله بوحدانية الاعتقاد حيث لا إله إلا الله لا شريك له، لهُ الملك فيجب أن نشكره وأن نحمده على إبداعه في خلقه وعلى أن جعل لنا الأرض منبعا للرزق بسطها لعباده اللذين يودون الحياة ».

ثم يقول: « إن في القرآن الكريم كل شيء عن الناس وعن الحياة وعلى الناس جميعا أن يعرفوا أن هذا الكتاب لم يأت لفئة معينة بل جاء للبشرية كلها في كل زمان ومكان ليخلق المجتمع الإسلامي الذي يجب أن يكون، فلم يميز بشرعه جماعة بسبب ما لأن الناس جميعا أبناء رجل واحد وأم واحدة والعالم كله من سلالة هذين الأبوين إذن لماذا التفرقة بين البشر اللذين انحدروا من نفس واحدة، إن التعاليم الإسلامية في بساطتها تعطي الإنسان مطلق الحرية التي يبحث عنها في تكوين الرأي الذي يعطي للحياة معنى في العبودية

والربوبية، وهذا حق الإنسان ليشعر بكيانه الإنساني الكريم الحر ».

الإسلام وحرية الفرد:

ثم يقول: « إن الحرية في الإسلام حرية مسئولة لا تخدش حياء أحد من غير المسلمين، بل إنها تحفظ لهم حياتهم فهم يمارسون شعائر دينهم في كل المناسبات العامة والخاصة دون اعتراض، بل في الحماية وتحت الرعاية الإسلامية وبالمشاركة الفعلية في كل المناسبات إيمانا من الإسلام والمسلمين بحقهم في ممارسة حياتهم ومعتقداتهم كما كان يفعل رسول الله مع اليهود والنصارى، ونحن المسلمين نقتدي برسول الله في كل ما كان يقوم به تجاههم دون إفراط أو تفريط »، ويقول: « إن الإسلام بشريعته السمحاء أقام المجتمع الإسلامي ليتحقق فيه كل مقومات المجتمع السوي، فالشريعة هي التي أوجدت المجتمع الإسلامي وأقامته على القواعد والأسس التي أوردها الله لعباده، وفي ظل هذه الشريعة تنمو جماعة الإسلام ويتطور العمل ويزيد الإنتاج تحت بنود السلوك والقوانين التي تحقق سبل تصور المجتمع إلى الأفضل »، لقد دخل القس السنغالي توماس في الإسلام وأصبح الداعية الإسلامي (الشيخ توماس حارث).

العمل الاجتماعي:

ومطلوب من المسلمين العناية بالعمل الاجتماعي مثل عمل الجمعية الخيرية الإسلامية العالمية التي تعمل بكل طاقاتها على توفير الغذاء للجائع والكساء للعاري والدواء للمريض والرعاية لليتيم والإيواء للمتشردين والتعليم للجاهل والتشغيل للعاطل والمشاركة الجادة في تنمية المجتمعات الإسلامية من داخلها وأن يكون العمل للجميع وللجميع.

وفي النهاية فإننا نحس بأن الله سبحانه وتعالى معنا يوجهنا إلى الخير ويعيننا عليه حتى نستطيع أن نؤدي رسالتنا نحو أنفسنا ونحو هذا العالم الحائر الذي يسير إلى الهاوية، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطواتنا وأن يوفقنا إلى السير في الطريق المستقيم الذي يوصلنا إلى تحقيق أهدافنا الإسلامية فنسعد في الدنيا وفي الآخرة ونفوز برضوان الله، والله الهادي إلى سواء السبيل.

السؤال الخامس

من العدو الأول للإسلام ؟

يرى (أياتينيه دينيه) في الإجابة على هذا السؤال أن عنصرين من عناصر الشر يعادون الإسلام ويهاجمونه في عرينه رجال السياسة الاستعمارية ورجال الدين المتعصبون ولكي تكون نصرة الإسلام كاملة لا بد من أن يتجه الدفاع نحو الهدفين ومن الملاحظ أن أهل السوء من أهل الكتاب لا ينفكون يهاجمون الإسلام بالأباطيل ويحاربونه بالمفتريات وإذا أردنا أن نحصي أكاذيبهم فإننا نجد فيها صفحة من أسوأ الصفحات في التعصب يقوم به أعداء الإسلام قديمهم وحديثهم سواء منهم العلماء والرواد والقساوسة أو رجال الحكومات والكتاب أمثال (بدون وبلجراف وجلاد ستون ومرجليوس).

ويتساءل أتينيه قائلا : ما سبب إنكار كل أثر للإسلام لدى علماء يبدو أن درجاتهم العلمية تخرج بهم عن كل تعصب ديني؟ ويجيب على هذا بقوله : « الواقع يشهد بأن حرية الرأي مسألة ظاهرية أكثر منها حقيقية وأن الإنسان ليس حر التفكير على الإطلاق كما يشاء في مسائل معينة ثم إن التعصب الموروث لدى المسيحيين ضد الإسلام وأتباعه قد عاش دهورا طويلة حتى أصبح جزءا من كيانهم فإذا أضفنا إلى هذا التعصب الديني بندا آخر هو أيضا موروث من تزيده الأجيال المتتالية تمكينا من التفصيل بفضل مناهج الدراسات القديمة التي تسير عليها مدارسنا وهو أن كل العلوم والآداب الماضية يرجع الفضل فيها إلى الإغريق لقد أدركنا في يسر كيف يفكر الناس في ذلك بعامة الأثر العظيم الذي كان للعرب في تاريخ الحضارة الأوربية وسوف يبدو دائما لبعض العقول أنه من المهانة أن تدين أوربا المسيحية للمسلمين، ولذلك فقد أصبح التزييف واضحا في كل شيء ، فمعركة العاشر من رمضان أصبحت معركة السادس من

أكتوبر حتى يبتعد المسلمون عن كل شيء يذكرهم بالإسلام وانتفاضة المساجد في فلسطين أصبحت انتفاضة الحجارة والجماعات الإسلامية المؤثرة تلغى بقرار عسكري وتصبح تحركاتها مخالفة للقانون ويحدث لأعضائها ما يحدث من اعتقال وتعذيب ومحكامات ».

الإسلام أخطر الأديان:

ذكرت مجلة العلم والدين الروسية عدد يناير ١٩٩٤م، أن الإسلام هو أخطر الأديان وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم.

ومن أعداء الإسلام إسرائيل:

صرح الرئيس الإسرائيلي الأسبق (جانيم هرتزدج) كما نشر في صحيفة الأهالي بتاريخ ٢ إبريل ١٩٩٢م: « بأن الولايات المتحدة لا تكافئ إسرائيل المكافأة التي تستحقها – فإنها تقوم بدور عظيم الأهمية في خدمة الاستراتيجية الأمريكية – وهو التصدي لخطر الأصولية الإسلامية على نطاق منطقة الشرق الأوسط كلها، وهو دور لو تولته الولايات المتحدة بنفسها لكلفها أضعاف أضعاف ما تدفعه لإسرائيل نظير نهوضها بهذا الدور ».

وقال (يوجن رسبورنين) رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس (يونسون) في الستينات: « إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وإن قيام إسرائيل جزء من هذا المخطط وهو استمرار للحروب الصليبية ».

ووزير الزراعة الأمريكية الأسبق قال لمجلة (ديرسرشيل) الألمانية ١٩٧٥م: « وسلطة الغذاء أشد قوة ولهذا يصبح الغذاء أعظم أثرا في تعاملنا مع ثلثي سكان الأرض، وصاحب اليد السفلى ليس من حقه أن يفرض رأيه في قليل أو كثير إلا أن يكون ذلك من باب الاستهلاك المحلي ».

ومحمد أسد في كتابه الإسلام (على مفترق الطرق) يقول: « المخطط الذي وضع للقضاء على الصحوة الإسلامية يلخص في:

١– إلهاء المنطقة بدساتير وأحزاب تغرق المنطقة داخليا وخارجيا ويجعل

الرؤية غير واضحة عند الجميع.

٢- الانقلابات العسكرية التي ليس لها من شأنها إلا طمس معالم الماضي وما فيه من خير.

٣- انعدام الحرية وحتى المجالس النيابية ما هي إلا مجالس شكلية.

ولذلك انتشرت الرشوة والجاسوسية والاعتقال والتعذيب الوحشي وأصبحت المحاكمات صورية، وأصبح دور الإذاعة والصحافة والتلفاز تمجيد الزعيم الأوحد، واستخدام الربا والخمر والرقص والأغاني والكرة إلى جانب شغل الناس عن كل شيء.

المؤامرة الكبرى: ألف الدكتور (مصطفى محمود) كتابا بعنوان (المؤامرة الكبرى) قال فيه: « إن الغرب يكره الإسلام والمسلمين، نعم إنه قد يختلف على أشياء كثيرة ولكنه يتفق على أن الإسلام خطر عليه، ولذلك فإنه لابد من الكيد له والعمل على إنهاء فاعليته أو جعل المسلمين يتركون مفاهيمه ليسيروا على مفاهيم الغرب أو القضاء على المسلمين ولذلك فإنهم زرعوا إسرائيل في وسط الدول العربية وزودوها بكل الأسلحة وكالوا لها المعونات والقروض والمنح وهم الذين نسفوا ترسانة العراق ثم أخذوا يبحثون في كل درب عن أثر لمادة مشعة أو بقايا مصنع لينسفوه، وفي الوقت نفسه حظروا على كل دول العالم الإسلامي أي تسليح نووي أو كيميائي أو مكروبي واستيراد أي تكنولوجيا متقدمة.

إن الغرب يدبر المؤامرات المختلفة ليصرخ العرب مستنجدين فيفتح عليهم الحلفاء الغربيين باباً أشد هولاً يأكل ما تبقى من سلاحهم وأموالهم وكلهم متفقون على هدم البوابة المصرية.

وقد أدخل اليهود على التوراة الفقرة التي تقول: « إن أي أرض تطؤها قدم يهودي تصبح ملك بني إسرائيل »، واليهود يطلبون من الطوائف الإنجيلية أن يساعدوهم في القضاء على المسلمين حتى يأتوا لهم بمسيحهم من السماء، يقول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ

بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وهذه الآية تبين لنا سبب خلقنا مختلفين الذي يكمن في التعارف والتسابق إلى الخيرات لا إلى الصراع، والاختلاف ابتلاء من الله تعالى ترى هل تتغلب الأنانية أم يتغلب الخير فيكون التفاهم والتعاون.

والإسلام لم يأذن بالقتال لمسلم إلا دفعا لعدوان مباشر أو دفعا لغزو، فجوهر الإسلام التعاون والتفاهم بين الجميع، واليهود قتلوا في كل مكان ولم يجدوا أمنا إلا في ديار الإسلام، بل إن اليهودي كان يأخذ معاشه من بيت المال إذا كان عاجزا، ومع ذلك فهم يفعلون بالمسلمين في إسرائيل وفي كل بلاد العالم ما يفعلون، ومع ذلك فإننا نجد الإعلام الأوربي يركز على صوفيا لورين وهي تعطي ملعقة مهلبية لطفل صومالي يلفظ أنفاسه الأخيرة لإظهار الإنسانية الأوربية، والعلمانية ظهرت في البلاد الإسلامية لضرب الإسلام نفسه لا لنصرة العلم.

<u>غرور القوة:</u>

إنهم في الغرب يبيحون الشذوذ ويحتفلون بزواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء، إنه الموت من الداخل والله سبحانه وتعالى ينتقم من هؤلاء المبتعدين عن منهجه بلطفه إنها سنن في الله في الكون لا تتخلف.

وهكذا نرى المؤامرة الكبرى التي يحيكها الغرب للعالم الإسلامي، ترى هل نبدأ في صحوة عامة تشمل الحاكم والمحكوم وتشمل الرجل والمرأة وتشمل الكبير والصغير، ترى هل نعود إلى إسلامنا وقرآننا ونسير في الطريق الصحيح؟ إننا إن فعلنا ذلك نكون قد بدأنا السير على الصراط المستقيم وبذلك نستطيع أن نكون دعاة إلى الله على بصيرة وبذلك يرضى الله عنا في الدنيا والآخرة.

<u>العالم الغربي يرى أن الإسلام هو الخطر:</u>

وقد كتب علي القاضي مقالة هذا عنوانها ونشرت في مجلة الهداية البحرانية عدد ذو القعدة سنة ١٩٨٣م جاء فيها: «في العصر الحديث تبدو على الأفق نهضة في البلاد الإسلامية وتصحيح مفاهيم الإسلام التي عمل الاستعمار

الغربي على طمسها وتغيير عقول أبناء الإسلام بحيث تفهم الإسلام على أنه المسجد فقط، أما ميدان الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والثقافية فيترك للمفاهيم الغربية وبذلك يبقى الاستعمار ويبقى المستعمرون من خلال أبناء المسلمين الذين يفهمون الإسلام كما يريد الغربيون، وقد نشطت أجهزة الدعاية وأجهزة المخابرات الغربية لتراجع حساباتها وتحاول أن تعرف مكمن الخطر عليها حتى تعمل على درئه، فقد أعلن (جيمس كالاهان) رئيس وزراء بريطانيا الأسبق أن قضية الشرق الأوسط والوضع في إيران وتركيا وظهور الشعور الإسلامي ستكون من الموضوعات الأساسية التي سيتطرق إليها البحث في المؤتمر الرباعي في غوادلوب، كما أن (كيسنجر) دعا الولايات المتحدة وأوربا واليابان إلى تحديد استراتيجية شاملة لمواجهة خطر الانهيار التدريجي للحكومات الموالية للغرب في الدول النامية وفي إسرائيل، وقد عقد معها (شارون) بجامعة تل أبيب ندوة موضوعها (هل هناك احتمال لحدوث يقظة إسلامية بين المسلمين في إسرائيل)، ولشارون رأي يتلخص في أنه ما من قوة في العالم تضاهي قوة الإسلام وقدرته على اجتذاب وتحريك الجماهير، وقال: « إن الإسلام يشكل قاعدة الحركة الوطنية عند العرب »، ويقول (كيسنجر): « لقد تغيرت الأمور الآن بعد ما ظهر من مصدر للخطر على إسرائيل في الحركة الإسلامية »، كما تقول (صحيفة التايمز): « تحذر من الحركة الإسلامية والغرب أمام خطر سيجعله يدفع الغالي والنفيس ».

صحوة إسلامية:

والصحافة ترى أنها صحوة إسلامية عامة في جميع البلاد الإسلامية وترى أن في هذا خطرا على الاستعمار وفي الوقت نفسه خطرا على الزعماء الوطنيين الذين يسيرون في فلك الغرب وهم لذلك يثيرونهم ليقضوا على الصحوة.

تقول الجارديان البريطانية: « إنه لتهديد واسع الخطر يأتي إلى الزعماء الوطنيين أن البعث الحالي يملك من القوة الكبرى ما لم يدركه المسلمون العاديون والغرب إلا مؤخرا »، ثم تقول: « أما العوامل التي أعطت هؤلاء المسلمين

المتمسكين بعقيدتهم حياة جديدة من خلال السنوات الأخيرة فهي عوامل معقدة، لكن اثنين منها لهما أهمية بارزة، **الأول**: هو إدراكهم أن الغرب الذي كان على قدر من القوة أصبح الآن غارقا بالمشاكل والأزمات، **والثاني**: خوفهم من أخطار القومية العلمانية في العالم الإسلامي نفسه ».

الغربيون دخلاء:

وتقول صحيفة التايمز اللندنية: « ليست هذه الصحوة مقصورة على مصر بالطبع فهناك نسخة أكثر وضوحا في باكستان وهناك علامات على وجودها في أندونسيا ومؤشرات على انبثاقها في بعض مناطق الاتحاد السوفيتي، وأما أفريقيا فقد أحرز الدين الإسلامي بعض التقدم على المسيحية والمعتقدات الأخرى المختلفة، وعلى المستوى الدولي قد أحرز ازدياد الشعور الإسلامي التضامني قدما بعد أن احتلت إسرائيل القدس »، ثم تقول: « إن المسلمين يكرهون الغرب لأنه برز واشتهر على حساب المد الإسلامي ولأن الغربيين جاءوا دخلاء على العالم الإسلامي وفرضوا عليه كل أنواع الخزي والعادات السيئة »، وتختم الصحيفة مقالها قائلة: « إن العالم الإسلامي يعتريه اليوم تطلع وحاجة لتأكيد ذاته وهويته فبعض أجزائه يرد بعنف على الماركسية وفي الأجزاء الأخرى تتركز ردة الفعل الشديد على الثقافة الرأسمالية الغربية التي يعتبر خطرها أكبر من خطر الماركسية »، ثم تصيح الصحيفة منذرة محذرة: « الغرب اليوم أمام خطر سيجعله يدفع الغالي والنفيس بسبب عجرفته الماضية ونجاحه السابق ».

حزب السلامة في تركيا:

كتب الصحفي (سولز برجر) في صحيفة (الهيرالد تريبيون) عن حزب السلامة الإسلامي في تركيا فقال: « هو حزب قديم يمثل مجموعة دينية تخاطب غرائز القرون الوسطى متخلفة على نحو ما كان في الغرب وأن الانتشار الإسلامي لا يكون بين المتعلمين »، يقول أيضا عن حزب العمل القومي وهو أيضا حزب إسلامي: « أما حزب العمل الذي يرأسه ألب أرسلان بتركيا – وهو

ضابط سابق – فهو حزب فاشي جديد يضم عناصر عنصرية وشوفينية، ويداعب مشاعر العظمة لدى البسطاء ويسلح أنصاره الشبان بالأسلحة الإرهابية »، وهكذا وبكل بساطة يتهم الحزب الإسلامي بعدة تهم منها أنه يداعب مشاعر العظمة لدى البسطاء ويسلح أنصاره الشباب بالأسلحة الإرهابية وهو بهذا يثير الحكام على الحزب لخطورته عليهم.

الإسلام هو الخطر عليهم:

وهم يبحثون عن سبب هذه الصحوة ثم يتوصلون إلى أن السبب هو الإسلام والقرآن والسنة وهذا هو الخطر عليهم، الخطر الذي يهدد مستقبلهم في العالم الإسلامي فهم لذلك يعملون للقضاء عليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

تقول الجارديان: « إن لب المعتقدات الإسلامية هو لب إدراك المعاني الحقيقية في الدين واعتباره نظاما كاملا مستقى من القرآن الكريم ومن سنة رسول اله ﷺ، والقرآن يشتمل على الأسس اللازمة لكل وجه من أوجه الحياة الشخصية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ».

ويرى شارون أنه ما من قوة توازي الإسلام من حيث قدرته على اجتذاب الناس وإثارتهم وأنه يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية، ويضيف قائلا: « إن المساجد دائما هي منبع الدعوة للجموع الإسلامية إلى محاربة الوجود الصهيوني »، وهكذا أخذ الرجل زاوية المساجد لأنه يراها خطرا على الوجود الصهيوني في الأرض المحتلة، وهو بذلك يريد رسم الطريق للقضاء على هذا الخطر كما يراه.

كيف يواجهون الخطر الإسلامي:

لقد أصبح الغرب في ورطة ترى ماذا يفعل أمام الصحوة الإسلامية التي تهدد مستقبله بالخطر؟ لا بد من إيجاد حل لهذه المشكلة.

صحيفة (الأيكونومست) البريطانية في عددها الصادر في ٢٧/١/١٩٧٩م نشرت دراسة عن الإسلام، وهي محاولة لفصل الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية، بينما تمتلك الأديان الأخرى المسيحية والبوذية ذلك التأثير، وفي

نهاية الدراسة قالت : « إن مشكلة العالم الإسلامي لن تحل إلا إذا خرجت دولة أو اثنتان منه من أسلوب التوفيق بين الدين والسياسة إلى مرحلة ما بعد الدين كما حدث في أوربا عندما خرجت إلى مرحلة ما بعد الكنيسة فإذا نجحت فسوف تسلكه الدول الأخرى ».

وصحيفة (الصانداي تلغراف) البريطانية تبين كيف انتهى التهديد العسكري الإسلامي بعد الحرب العالمية الأولى، وكيف تغير الوضع إلى الآن، وترى اللجوء إلى القوة العسكرية والسلاح الاقتصادي وما إلى ذلك، فتقول: «بعد زوال الإمبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى انتهى التهديد العسكري الإسلامي وحل محله الوجود البريطاني في الشرق الأوسط، ونتج عن ذلك انتشار الأفكار والقيم الغربية وتغلغلها في داخل الروح العربية، وظهر جيل من القادة العرب متشوقون لانتهاج الأسلوب الغربي، ولكن يبدو أن الدول الإسلامية تنفتح على العالم بدون تبني النظم المعاصرة، كما أن بعض أجزاء العالم الإسلامي تشهد عملية تجديد للإسلام بين شعوبها مما يعتبر خطرا جديدا يجب البحث عن وسيلة مناسبة للتصدي له، وحتى يتم ذلك فإنه من الممكن اللجوء إلى القوة العسكرية، فالإسلام يدعوا إلى تجديد الجهاد مما يحكم على المسيحيين بالانقراض والفناء ».

وقالت المجلة في عددها الصادر في ١٧/١٢/١٩٧٨م تحت عنوان (مواجهة الخطر الإسلامي):

« إن من بين الوسائل الممكنة استعمال القوات المسلحة لأن ترك الانبعاث الإسلامي يتحول إلى نوع من الجهاد دون أن نواجهه بكل قوتنا سيؤدي إلى القضاء على مصالحنا بل والقيم التي نعتز بها »، كما دعت إلى استعمال الاقتصاد أيضا، ودعت الغرب إلى التحرر من عقدة الذنب التي خلفتها عهود الاستعمار، وانتقدت الصحيفة بشدة المسئولين الغربيين الذين فوجئوا بالظاهرة الإسلامية لأنهم لم يدرسوا الإسلام كما كان يفعل المسئولون الغربيون في القرن الماضي حتى بداية هذا القرن.

خطر الجهاد في نظرهم:

وصحيفة (الجويش كنكيل) اليهودية الأسبوعية الصادرة في ٥/١/١٩٧٩م تثير الشرق والغرب ضد اليقظة الإسلامية وإلا فإن الصحوة الإسلامية ستنزع توازن قسم كبير من الكرة الأرضية تقول: « سوف يصبح الجهاد الإسلامي عاملا في سياسات القوى الدولية بما في ذلك من نتائج خطيرة على بقية العالم بما في ذلك الاتحاد السوفيتي ومن غير المحتمل أن يحدث هذا الموقف فائدة طويلة للاتحاد السوفيتي بل العكس تماما هو الصحيح فدور الإسلام في الحياة اليومية لمئات الملايين في قارتي آسيا وأفريقيا كانت تتجاهله حتى الآن حسابات المعلقين الغربيين المهتمين بقضايا عملية تتعلق بإمدادات النفط والسياسة والأمن، ولكن صانعي السياسة في الغرب يكونون قصيري النظر إذا أهملوا هذه الظاهرة التي تندرج في طب الاستفزازات الإسلامية الجديدة حيث لا توجد فقط أنظمته المعتدلة في العالم العربي وإنما أيضا في الأنظمة الأكثر راديكالية.

وإذا ألقينا نظرة شاملة وجدنا أنه ليس في وسع الغرب ولا الاتحاد السوفيتي أن ينظر بلا مبالاة إلى الوعي الذاتي المتنامي والثقة بالنفس عند المسلمين الذين إذا أخطئ توجيههم أو التحكم فيهما يمكن أن تزعزعا توازن قسم كبير من الكرة الأرضية.

دور الاستعمار:

ويتحدث (مالك بن نبي) في كتابه (نحو كومنولث إسلامي عن دور الاستعمار) فيقول: **« لقد أقام الاستعمار فواصل غير طبيعية بين أجزاء الأمة الإسلامية حتى أصبحت مجموعة من الدويلات الصغيرة وقد حيل بين المسلمين وبين حرية الانتقال بين دولة إسلامية ودولة أخرى، كما عمل الاستعمار على إقامة المشكلات والحروب بين بعض الدول الإسلامية ودولها الأخرى، وترتب على ذلك:**

١ – اختلال توزيع الثروة بين أجزاء العالم الإسلامي.

٢ – سوء استخدام الموارد الأكثر توافرا بكل منطقة.

٣- استمرار تحقيق أهداف الاستعمار من خيرات المنطقة وجعلها سوقا لمنتجاته.

ثم يعقب على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣].

والعلاج يكون في العودة إلى الفكر الإسلامي الذي يحل المشكلات كلها في العالم الإسلامي، وقد تنبهت إلى ذلك الدكتورة (لورا فاجليري) فقالت في كتابها (تفسير الإسلام): « في الإسلام تحررت الروح من التعصب وتحررت إرادة الإنسان من الروابط التي طالما ربطتها بإرادة الآخرين وسقطت عروش القسس وحراس العقيدة الوائفين وسماسرة الخلاص وكل هؤلاء الذين كانوا يزعمون أنهم وسطاء بين الله وبين الإنسان وأن لهم بذلك السلطة على الآخرين، ولو اتجه المسلمون هذا الاتجاه فإنهم سيحققون معنى الآية الكريمة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥].

خنجر إسرائيل:

وقد كتب علي القاضي في كتابه أضواء على الغزو الثقافي للمجتمعات الإسلامية عن خنجر إسرائيل فقال: صدر في عام ١٩٥٧م بدمشق كتاب بعنوان (خنجر إسرائيل) وفي هذه الوثيقة: « إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء إذا بنيت خطتها الجغرافية الحالية ولكي تضمن لنفسها مقومات البقاء السياسي والاقتصادي والاجتماعي فإنه لا بد لها من أن تحتل جزيرة سيناء حتى الضفة الشرقية لقناة السويس بالإضافة إلى احتلال القدس والضفة الغربية من فلسطين وقطاع غزة وهضبة الجولان »، وبعد فترة قامت إسرائيل بتنفيذ هذه الخطة

ولا تزال، وتقول الوثيقة: « إن إسرائيل بعد استيلائها على هذه المناطق العربية فإنها تستطيع أن تضمن لنفسها البقاء ما لم تجر التعديلات التالية على المنطقة:

أولا: إقامة دولة مسيحية للموارنة في لبنان.

ثانيـــا: إقامة دولة شيعية في جنوب لبنان.

ثالثـــا: إقامة دولة درزية في الشام تتصل بدروز سوريا.

رابعـــا: إقامة دولة علوية في سوريا بمنطقة العلويين.

خامسا: إقامة دولة كردية بين سوريا والعراق وتركيا.

سادسا: إقامــة دولة قبطيــة في مصر وإذا تعذرت الدولة القبطية الكاملة فلا بد من إعطاء الأقباط حكما ذاتيا في مصر.

الجاسوسية الاقتصادية:

هذا عنوان كتاب للدكتور (محسن الخضيري) ويتلخص في الآتي:

أولا: سياسية التطويق والحصار.

ثانيا: سياسة التفريغ الذاتي.

ثالثا: سياسة التغريب عن الواقع.

رابعا سياسة التقويض والهدم.

خامسا: سياسة الربط بالتنمية.

ترى كيف يمكن الخروج من هذا المأزق؟

والعلاج يكون في أن يلتقي زعماء العرب للمناقشة الهادفة البناءة على عدة مستويات منها:

أولا: البعد عن الهجمات السياسية التي تفرق ولا تجمع.

ثانيا: ترك الأمور الداخلية لكل دولة تسيرها بالطريقة التي تراها.

ثالثا: الاتفاق على أسس ثقافية محددة.

وهكذا نجد أن من أهم أهداف الغرب تمزيق الوحدة الإسلامية بالعودة إلى القومية والطائفية والوطنية إلى جانب هدم الثقافة الإسلامية التي تجمع بين المادة

والعقل والروح والتي تستمد كل مقوماتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن أهدافهم أيضا هدم مفهوم الشريعة الإسلامية بإذاعة مفهوم العلمانية والقوانين الوضعية وهدم مفهوم عالمية الإسلام بالدعوة إلى وحدة الأديان وهدم الأخلاق بإباحة الزنا والشذوذ الجنسي تحت اسم الحرية والتقدم.

ولذلك فإنه لا بد من حماية الهوية الإسلامية في مواجهة المفاهيم البشرية، ولا بد من أن نعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية حتى يكون المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ولا بد أيضا من نشر المفاهيم الإسلامية بين المجتمعات العالمية حتى يعرفوا الإسلام على حقيقته فيؤمنوا به وبذلك ينقذون أنفسهم من المشكلات المتعددة التي يعيشون فيها، ولا بد من حماية اللغة العربية من الذوبان في اللهجات العامية وفي اللغات الأجنبية إلى جانب سلامة العلوم والدعوة إلى الله على بصيرة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

خاتمة

إذا كان الغرب قد نجح في غزوه الفكري فإنه قد أخفق في مجالات كثيرة حيث تكونت ردود الفعل عند الشعوب الإسلامية، وكان من نتيجة ذلك الغزو أن انبرى عدد كبير في العالم الإسلامي يدعون إلى التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ومثلا ونبذ ما عداه، وقد ظهرت حركات إسلامية كثيرة تدعو إلى الأخذ بالإسلام وجعله نظام حياتها بحيث يطبقه الفرد والأسرة والمجتمع والدولة.

وقد أصيب العلمانيون بخيبة أمل مريرة حين رأوا ردود الفعل، ومن ذلك ما قاله (عصمت أنونو) وهو في مرض موته: « إنني لا أكاد أصدق ما أرى لقد بذلنا كل ما نستطيع لانتزاع الإسلام من نفوس الأتراك وغرس مبادئ الحضارة الغربية مكانه فإذا بنا نفاجأ بما لم نكن نتوقعه فلقد غرسنا العلمانية فأثمرت الإسلام ».

وقد بدأ الغرب ينتبه إلى حقيقة الإسلام وأهميته في حياة الأفراد والشعوب حتى ينقذهم مما هم فيه ويحقق لهم السعادة والأمن والأمان، وقد أصبح الإسلام هو الدين الثاني في أوربا وأمريكا.

ونتيجة للتعرف المباشر على الإسلام والوقوف على حقيقته الكاملة بعيدا عن التزييف والتشويه المقصود لصد الناس عن الإيمان بالدين الخاتم الذي ارتضاه لهم ربهم وخالقهم، وقد دخل في الإسلام الآلاف من الأوربيين والأمريكيين وغيرهم وزاد عدد الذين دخلوا في الإسلام من الغرب بصورة أزعجت القادة والحكام الذين يخططون وينفذون لصرف المسلمين عن دينهم وإضعاف تمسكهم بآدابه وشريعته وأحكامه.

وفي فترة ماضية تناولت الصحف المصرية خبرا مثيرا، جاء في مقال نشرته صحيفة (صنداي تايمز) البريطانية كتبه نجل اللورد (جون بيرد) المدير العام

الأسبق لهيئة الإذاعة البريطانية ومضمون الخبر: « أن أربعة عشر ألف بريطاني دخلوا في الإسلام ومنهم كاتب المقال، والذي ذكر فيه أن من بين الأسماء التي اعتنقت الإسلام - أخيرا - الحفيدة الكبرى لرئيس وزراء بريطانيا الأسبق (كاربرت اسلورتي) والثري الشهير (بيرك باريلا) وعدد من لاعبي الكرة المشهورين »، وتعليقا على هذا الخبر الذي يؤكد انسجام مبادئ الإسلام مع الفطرة الإنسانية يقول الكاتب الإسلامي (السيد عبد الرؤوف) في صحيفة عقيدتي عدد ٣/٣/٢٠٠٤: « لو كان انتشار أي دين مقرونا أو مرهونا بقوة أتباعه العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية أو تقدمهم العلمي والتقني أو هيمنتهم الفكرية والثقافية ما كان للإسلام أن ينتشر ».

والأمة الإسلامية على ما هي عليه من ضعف وتخلف وتشتت نرى الإسلام ينتشر انتشارا سريعا في جميع بلاد العالم، وقد دخل في الإسلام في الولايات المتحدة بعد أحداث ١١ من سبتمبر ٣٦ ألفا.

ترى ما أسباب ذلك؟

إن الأسباب تظهر في الآتي:

١- أن الإسلام هو الدين الخاتم الذي لا دين بعده، ولذلك فهو يجيب على كل أسئلة البشرية، ويرسم معالم الطريق لتلبية جميع احتياجاتها، وحل كل مشكلاتها لو قرأ القرآن الكريم قراءة صحيحة وطبقه تطبيقا أمينا.

٢- أن الإسلام حجة على المسلمين وليس المسلمون حجة على الإسلام، وأن مشكلة المسلمين سببها أنهم لا يلتزمون بمبادئ الإسلام وشريعته كما أرساها القرآن الكريم والسنة النبوية بسبب الغزو الثقافي الغربي للمجتمعات الإسلامية.

٣- أن البشرية مرت بأطوار متعددة من النمو والتطور وجربت العيد من المبادئ والنظم، وبعض المجتمعات عزلت الدين عن مجتمعاتها وحققت أعلى درجات التقدم العلمي والتقني وأعلى درجات القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، وفي الوقت نفسه مرضت بأمراض عقدية وفكرية

ونفسية وهذا كله هدد كيانها ونفخ في أسس وقواعد حضارتها المادية.

وقد أثبتت الدراسات الميدانية أن أعلى الدول دخلا وأكثرها رفاهة وأعلاها تقدما وأوفرها قوة هي في الوقت نفسه الدول التي تسجل أعلى المعدلات في الانتحار وفي الأمراض النفسية والعصبية وفي الانهيار الأسري وفي الإصابة بالأمراض القاتلة وفي مقدمتها الزهري والإيدز وفي شيوع ظواهر الإدمان والعنف.

ومن المتوقع أن تنهار الولايات المتحدة من الداخل قريبا كما انهار الاتحاد السوفييتي وبذلك ندرك الصلة بين انتشار الإسلام في الغرب وبين مشروع منع الحجاب في المدارس وغيرها والتضييق على الوجود الإسلامي في أمريكا وفي الدول الأوربية، ومن ذلك مشروع الشرق الأوسط الكبير الأمريكي الأوربي الذي يجري تسويقه بهمة ونشاط، ولكننا نقول: إنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

علي القاضي

فهرس

كتب صدرت للمؤلف

١- أضواء على التربية في الإسلام.
٢- وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني.
٣- جامعات يوسف.
٤- الحدود في الإسلام هدية الله إلى البشرية.
٥- دور المرأة ومكانتها في الحضارات المختلفة.
٦- ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي.
٧- علم الإنسان في القرآن الكريم.
٨- الحضارة الغربية المترفة تسير إلى الهاوية.
٩- الإسلام يدلل المرأة.
١٠- معارك رمضانية فاصلة في تاريخ الإسلام.
١١- الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى.
١٢- أضواء على الغزو الثقافي للمجتمعات الإسلامية.
١٣- مفاهيم إسلامية.
١٤- أوسمة إلهية لخير البرية. ١٥- لماذا أسلمنا ؟.
١٦- أضواء على شخصيات إسلامية متميزة.
١٧- أضواء على افتراءات أعداء الإسلام على التاريخ الإسلامي.
١٨- أضواء على الحضارة الإسلامية.
١٩- الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية شاملة.
٢٠- خمسة أسئلة عن الإسلام في العصر الحديث والإجابة عليها.

كتب تحت الطبع

١- المنهاج الإسلامي لحل المشكلة التربوية في العالم الإسلامي.
٢- الحكمة في التشريعات الإسلامية. ٤- أوسمة نبوية.
٣- أضواء على كتب إسلامية حديثة. ٥- الإتكيت (فن الذوق).
٦- المدينة المنورة عند الهجرة. ٧- مكة المكرمة عند الهجرة.
٨- رجاء جارودي الفيلسوف الماركسي الذي أسلم.